

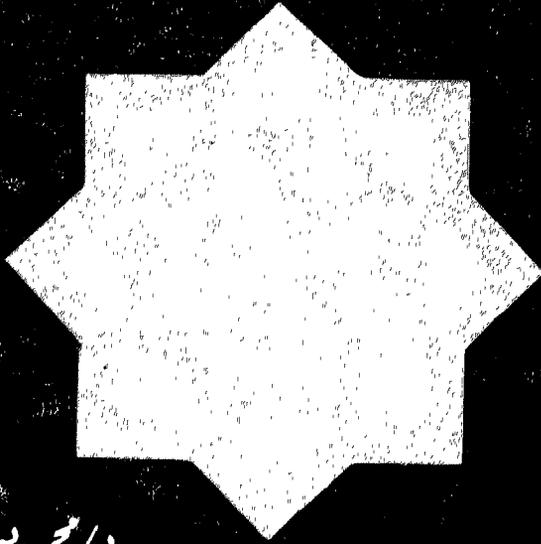
مشيخ الطيفير الجميلة

تقدم لك

منهج التربية

عند الامام المجدد

السيد محمد رضا آبي الغزالي



دا محمد يوسف عمدة

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الأصرام للنشر والتوزيع

القاهرة

مِنْهُجُ التَّرْبِيَةِ
عِنْدَ
الْأَمَامِ الْجَبَّارِ الْعَزِيزِ

د/ محمد يوسف عمودة

٨٩/٣٠٨٠

٩٩٧ - ١٦٦٥ - ٠٩ - x

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار المدينة المنورة للطبع والنشر

١١٤ ش مجلس الشعب - القاهرة ت ٣٩٠٨٨٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكمثل به دينه وأتم به نعمته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكفى بالله شهيدا .

والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه مهبط الوحي ومعدن الحكمة ونور الهدى ، ورحمة الله العامة للناس أجمعين . أقامه الله تعالى فى أمته محفوظا بورثته ، فكانوا فىء نوره ، وألسنة بيانه ومنطق حكمته ومصاييح الدجى المستمدة نورها من السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .. وبعد ...

فإن أعظم نعمة ينعم الله تعالى بها على عبد من عباده بعد نعمة الإسلام أن يوقفه تعالى إلى إمام يهديه وأستاذ يأخذ بيديه ، وخبير يقيمه على الطريق إذا تفرقت السبل ، وكثرت الأهواء وتتعددت الأسباب .. فيجمع الله لعبده نعمة الإهداء مع نعمة الاقتداء .. حتى يحصل للعبد كمال الرشد فى دينه والهدى فى سبيله ، لقوله تعالى :

« من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » (الكهف : ١٧) .

ومن رحمة الله بالأمة إمداده لها بالأئمة . ورثة النبى ﷺ والخلفاء له الذين يحيون السنة بعد مواتها ويجددون لهم ما أنطمس من معالم الدين .. فأخذ كل إمام على عاتقه واجب التبليغ وقام بالتربية على خير وجه وقد نالت كل مدرسة من إمامها منهجة وتربيته ، وهم جميعا - الأئمة - معتصمون بالكتاب متبعون للسنة متمسكون بها . لا يميلون إلى بدعة . ولا يدعون إلى ضلالة ، لأنهم ساروا مهتدين وسلكوا الطريق مقتدين - « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » (يوسف : ١٠٨)

فهم غير مختلفين وان تعددوا ، ولا مخالفين وإن نهجوا بأبنائهم سبيل الرشاد فإنما هى أذواق ومواهب ، وسعة المورد تقتضى كثرة الورد ، ولكل فيه شأنه ومورده ، « قد علم كل أناس شرهم كلوا واشربوا من رزق الله » (البقرة : ٦٠) .

وتعدد المدارس الاسلامية لايبنى اختلافها . إنما هو الأمر كما قلنا سعة المورد اقتضت
كثرة الورد وتعدددهم وإماننا له فى التربية بجره الطامى ، وذخره السامى لايعرفه إلا من
ورده ولا يحكم عليه إلا من ذاقه . ولنا معه هنا فى مدرسته جولة نرد فيها منهله العذب
الروى ونرى من خلاله فضل الله تعالى عليه وعلينا به وعلى الناس بما نوره . ونسأل
الله أن يجعلنا من الشاكرين وأن يفتح علينا من أبواب رحمة وخزائن علمه إنه نعم المولى
ونعم النصير ..

الباب الأول

حياته ووسائل تربيته

الفصل الأول

مع الإمام في حياته ونشأته

اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يحفظ النبي ﷺ في أمته حتى تبقى شمس الهدى بغير غروب .. وسراجُه المنير يتلألأ بغير أفل ..

فأقام في الأمة ورثة النبي ﷺ ، وخلفاءه الذين يحفظون السنة ويبلغونها الناس . فهم للناس أئمة وهم أعلام الأمة ..

وقد جرت العادة أن نعرف العصر والمصر إذا كنا بصدد التعريف بالأعلام لأنهم جزء من الدعوة الإسلامية والتعريف بالدعوة يلزمه معرفة المكان والزمان والإمام عمل في حقل الدعوة الإسلامية ردحا طويلا من الزمن وتنقل كثيرا في الاقطار الإسلامية وله في كل مكان أثره الطيب فكان من الأمانة العلمية بيان العصر الذي نشأ فيه والمصر الذي بدأت منه دعوته إلى الحق ..

مولده :

وليس ثمة خلاف في مولده ولا في مكانه الذي ولد فيه ولا في أسرته العربية التي ترجع في نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب في فرعيه الكريمين الإمام الحسن والإمام الحسين ..

فهى أسرة عربية عريقة الأصل كريمة المنبع كما سنذكره إن شاء الله تعالى .. وقد ولد الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب الفرد في عام ستة وثمانين ومائتين وألف من الهجرة النبوية (١٢٨٦) هـ .

وذلك يوافق الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام تسعة وستين وثمانمائة وألف من التقويم الميلادى .. وكان ذلك . أثناء زيارة والديه للمسجد المشهور برشيد . « مسجد

سیدی زغلول « .. والقريب من محلة أبي على التي تقطنها أسرته وهي من أعمال دسوق من البلاد المصرية ..

فإذا عرفنا أن الإمام انتقل إلى جوار ربه في نفس الليلة والشهر عام ستة وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة وفي عام سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف من الميلاد .

كان ذلك يعنى أن الإمام عاش في الفترة ما بين الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، والثلث الأول من القرن العشرين ..

وهي فترة شهدت الحرب العالمية الأولى والإعداد بل والمراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية .. بالإضافة إلى الركام الهائل الذي خلقه الإستعمار الغربى والذي كان خاتمة الحروب الصليبية التي بدأت من الأندلس وختمت بالاحتلال الغربى للبلاد الإسلامية وظل أثره باقيا حتى الآن ..

اسمه ونسبه :

اسمه السيد محمد واسم أبيه السيد عبد الله المحجوب بن السيد أحمد بن السيد مصطفى بن السيد ابراهيم بن السيد صالح بن السيد ماضى - نسبة إلى عين ماضى بجوار الساقية الحمراء على الحدود بين مراكش والجزائر - بن السيد درويش .. إلى أن ينتهى إلى الامام الحسين .. (١) .

وأما نسبه من جهة أمه :

فهى السيدة آمنه المهديّة ابنة السيد أحمد العربى الفرجانى بن السيد أحمد القادري بن السيد على بن السيد سليمان ... إلى أن ينتهى إلى السيد عبد القادر الجيلاني إلى الإمام الحسن (٢) فهو حسيني حسنى ..

وأما أبو العزائم فهى كنية (٣) للإمام السيد محمد بن السيد عبد الله المحجوب يكنى بها . ويجمع للإمام اسمه وكنيته ونسبه إلى ماضى .. جده فهو « السيد محمد ماضى أبو

(١) ، (٢) نيل الخيرات الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم الطبعة الحادية عشرة ص (١٠٩) (١١٠) . وانظر فى ذلك الطبعة الثالثة من نيل الخيرات ، والخامسة والثانية عشرة ومقدمة أصول الوصول الطبعة الأولى والمديغة المنورة العدد التاسع السنة الثانية عشر ، والثانى عشر من السنة العاشرة .

(٣) المدينة المنورة العدد التاسع السنة الثانية عشرة ، الثانى عشر من السنة العاشرة .

العزائم ..» يعرف بكنيته فقط أو بمحمد ماضى فقط .. أو بالكل .. كما سبق وقد كتب تحت عنوان محمد ماضى وصفا لنفسه يقول فيه :

« الخوف قوامه ، والذل حليته ، والرغبة باطنه ، والرغبة ظاهره ، والحيرة رداؤه . والصبر أنيسه ، والرضا رفيقه ، والشكر زاده ، والثقة كنزه ، والفكر طريقه . والتسليم مذهبه ، والتواضع رفعتة ، والفقہ منهجه ، والصدق ضالته ، والاخلاص مراده ، والسيد ﷺ مقصوده ، والله سبحانه معبوده ، والشكر ذكره ، والدعاء عمله ، وما يقرب إلى النار عدوه ، وما يقرب إلى الجنة أليفه ، وبر الوالدين سروره ، وصلة الرحم صبوره ، وادخال السرور على عباد الله وصوله ، والرحمة بخلق الله تعالى حظوته ، والقرآن الكريم خلوته ، والحضور بقلبه مع الحق سبحانه جلوته ، يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه ، وبلغه مراده . وهكذا فليكن كل ماض ، أو من يجب ماضيا .^(١) .

عصر الامام

وكان من الممكن أن نمر على ذكر العصر مر الكرام لولما شهدناه من الإمام في وفياته المتعدده من أحداثه ومن تعبئة الروح الإسلامية ضد الاستعمار والمستعمرين ورفع راية العداة عالية في وجه المستعمر الحقود وأعوانه الذين يحادون الله ورسوله ..

أولا : ركام قديم

لقد سار الاسلام يتهادى بفضل الله تعالى كما يتهادى النسيم إلى كل البلاد التي أذن الله تعالى لها بالهدى ، وغشى نور الحق ظلمة الباطل فأبأها من كل ربوع الدنيا : فلقى الإسلام من الناس قبولاً ووجد الناس في الاسلام ملاءمة للفطرة السليمة فتعانقا تعانق الاعتقاد الجازم بصلاحة والحاجة اليه وعمل كل من ذاق حلاوته أن يهديه إلى الناس ولو تحمل في ذلك أى شىء وبذل في سبيله كل نفيس وغال حتى بلغ الاسلام أوروبا .. وطاف أطراف الدنيا فسمع به كل قاص ودان .. وكان هذا الإنتشار غصة في حلق الشيطان وأتباعه فدفنوا حقدهم في قلوبهم وسكت ناعقهم إلى حين ..

حتى بدت لهم من المسلمين التفاتة إلى الدنيا .. فقاموا بكل حقد ، ينادى بعضهم بعضا للقضاء على الإسلام والمسلمين ..

(١) مقدمة أصول الوصول الطبعة الأولى .

وكانت أول ضربة لهم أظهرت الحقد والكفر وظلمة القلب وفساد الطبع هي ماجرت في بلاد الأندلس وطرد العرب والاسلام نهائيا من غرناطة عام ١٤٩٢ م ، فخرج آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله يجر أذيال الخيبة تبكيه عيون التاريخ الحزين لتقدم بعده دولة مسيحية متعصبة هي أسبانيا ، وقد ولدت قبلها دولة أخرى تماثلها تعصبا هي البرتغال ثم هولندا «(١) .

ومما يسجله التاريخ عن حقدهم أنه رغم الاتفاقية والمعاهدة التي وقعها أبو عبد الله عند الجلاء فقد قتل المسيحيون ثلاثة ملايين نسمة من المسلمين ولم تسمح بإقامة مسلم واحد فيها حتى ولو أن هذا المسلم أعلن اعتناقه للمسيحية .. «(٢) .

وتوالت الضربات بعد ذلك .. فأخذت شكل الحروب الصليبية التي دعا إليها البابا في أوروبا واستجاب لها الملوك والنبلاء حتى الأطفال مما يؤكد تلك الروح المتعصبة البغيضة التي أجتاحت مجتمع أوربا فمما يذكره التاريخ أن أطفال ألمانيا وفرنسا في عام ١٢١٢ م كونوا حملة صليبية بزعامة طفل يرعى الغنم اسمه (استيفن) ادعى أنه تلقى رسالة من المسيح يأمره فيها بالخروج للمشاركة في الحرب الصليبية «(٣) .

ولعل العوامل في الزحف الغربي على البلاد الاسلامية متعددة لكن أظهرها عامل الحقد الدفين الذي تجلى أكثر وأكثر عند البابوية وفرسان المعبد والروح الطاغية التي كانت تنفث في صدور الشباب وغيرهم لحمل الصليب إلى القدس والاستيلاء على مصر خاصة لأنها مفتاح الوصول إلى بيت المقدس ..

أو نقول إنها عوامل متراكمة لكل فيها غرض ومأرب .. « وإذا كانت البابوية قد دعت المسيحيين الغربيين إلى المساهمة في هذه الحملات باسم الصليب فإن أطماع الملوك والأمراء والفرسان الأوروبيين كانت واضحة في هذه الحملات . ولقد ساعدت الحروب الصليبية على زيادة سلطة الملوك في أوربا في وقت غيبة النبلاء والفرسان في الأراضي المقدسة . خاصة وأن بعضهم قد قتل في هذه الحروب واستولى الملوك على أراضيهم ، وخرج الأقطاعيون الأوروبيون من هذه الحرب ضعفاء ، وساعدت هذه الحروب على

(١) الإسلام في أرخبيل الملايو ومهج الدعوة إليه د. رءوف شلبي ص ٥ الطبعة سنة ١٩٨١ م .

(٢) السابق ص ١٦ ،

(٣) السابق ص ٢٤ .

نشأ الضرائب المباشرة للإفناق على الحملات .. «^(١) حتى الكشوف الجغرافية التي قام بها البرتغال والأسبان - دولة الأندلس القديم - والذين أبادوا المسلمين شر إبادة بعد توقيع المعاهدة بالجلاء لم تخل من هذا الحقد الدفين » فالبرتغاليون قد بدأوا عملياتهم في شكل عسكري للسيطرة على بلاد المغاربة .. وقد عمدوا إلى محاولة الالتفاف حول العالم الاسلامي للوصول إلى طريق التوابل . فوصلوا إلى الرجاء الصالح ومنه إلى المحيط الهندي .. والمهم هو أن وصول البرتغاليين إلى مياه الشرق الأقصى وسيطرتهم على التجارة الدولية أو العالمية جاء على حساب مصر وأبناء الشرق الأدنى العربي . ولقد كان وصول البرتغاليين إلى مياه المحيط الهندي في سنة ١٤٩٨ م كارثة على العرب ومراكزهم ومدنهم وسفنهم وتجارتهم في كل مكان . ويروى لنا التاريخ أن البرتغاليين قد قاموا باحراق مدن وموانئ العرب على طول ساحل افريقيه الشرق ومن موزمبيق حتى ساحل البنادر وخليج عدن وأحرقوا وأغرقوا سفن العرب في كل مكان . ومنعوا تجارة الشرق الأقصى من الوصول إلى مصر والشام .. «^(٢) فالإحراق والقتل والإغراق ليس من ورائه كشف جغرافي أو منحي اقتصادي .. اللهم إلا إذا كان الحقد والركام القديم ..

وان كانت مرارة الأندلس والتي غرب الاسلام عنها بعد عشرة قرون لم تزل عند المسلمين يجدونها الحين بعد الحين .. فإنه مما خفق وطأتها وأزال غصتها في الحلق الاسلامي .. « فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م .. ثم شاء الله تعالى للشرق الاسلامي أن يتنفس الصعداء بدخول البلاد الاسلامية تحت راية مسلمة وأن يجتمع بعد تفرق تحت اسم الخلافة الاسلامية والتي انتزعت من آخر الخلفاء العباسيين وانتزعها السلطان سليم الأول بعد دخوله مصر سنة ١٥١٧م واعلانه نفسه خليفة للمسلمين^(٣) .. وضمت الدولة العثمانية تحت رايها كثيرا من البلاد الاسلامية من آسيا وأفريقيا وتوسعت في أوروبا كذلك .

ولم يكن ذلك بالأمر الهين على أوروبا الاستعمار والمستعمرين .. فقد نظروا إلى المسلمين فوجدوهم قوة يحسب لها ألف حساب .. فأخذوا في نفث السم ، وبعث الحقد من جديد وتحينت الفرصة لتنقض على أطراف الدولة الإسلامية .. فأخذت ،

(١) المجلد في تاريخ مصر الحديثة . د. جلال يحيى الطبعة الثانية ص ٥١

(٢) السابق ص ٥٣

(٣) السابق ص ٥٦

توقع بينها وبين الدول الأوروبية فكانت الحرب الروسية في عام ١٧٦٨ م وكانت الدولة العثمانية في حالة ضعف .. إداريا وعسكريا وماليا مما ساعد على ظهور الاضطرابات في معظم أقاليمها سواء في البلقان أو في منطقة الشرق الأدنى ، وبخاصة في بلاد العرب وفلسطين وسوريا والعراق .. وميت الدولة العثمانية بهزائمهم . واضطرت قواتها البرية الى التقهقر عبر الدانوب ، وإلى الخروج من القرم ، وإلى الجلاء عن الأقالق والبغدان والصرب ، وخرجت الأساطيل الروسية من البحر الأسود إلى البحر المتوسط ، وهاجمت بلاد الأناضول ، وسوريا وهددت مصر ، ..

ولا شك في أن على بك الكبير قد رأى في ذلك ضعف الدولة العثمانية حربيا وعجزها عن الإحتفاظ ببيتها ، وارتباكها السياسي والاداري فعمل على انتهاز الفرصة واستقلالها لمصلحته^(١) ..

واستقل على بك الكبير بمصر وضم اليه بعض البلاد الأخرى ثم تعاقبت الاحداث وتوالت السنون والأمر لايزداد إلا فرقة .. وتوالت الأمراء وكثر اصحاب النفوذ ووجدت فرنسا الفرصة سانحة هي الأخرى فاهتبلتها وجاءت بأساطيلها وعلمائها وقوادها وكأنهم في رحلة أبدية ودخلوا مصر سنة ١٧٩٨ م^(٢) . وكانت هذه الضربة الثالثة قد أفقدت الخلافة الاسلامية الوعي فأخذت تترنخ لاتقوى على القيام .

ولم يكن أمام الدولة العثمانية إلا أن تبحث عن حليف أوربي فاستجارت من الرمضاء بالنار فلجأت إلى العدو التقليدي لفرنسا وهي انجلترا التي سارعت بالمجيء ولبت على عجل وأقلعت سفن الاسطول البريطاني في ٢٢ يناير سنة ١٨٠١ م وصحبتها بعض سفن المدفعية العثمانية وكتيبة من الجنود العثمانيين . فوصلت تجاه الاسكندرية مساء أول مارس ...^(٣) وانهمزم الفرنسيون فرحلت القوات الفرنسية عن مصر ليبقى العثمانيون ، والإنجليز .. الذين يرون لهم حقا في الشرق عامة ومصر على وجه الخصوص ، فأى حقد هذا وتعد على الإنسانية ، وضرب بالحقوق الدولية عرض الحائط .. والأعراف الدولية .. ولكن لسبب أو لآخر نجد التنافس على مصر بينهما لا ينقطع فنجد الانجليز إذا رحلوا تركوا خط الرجعة مفتوحا . فإن رحلوا في تلك المرة عادوا في حملة فريزر سنة

(١) السابق ص ١١١

(٢) السابق ١٥٦

(٣) السابق ١٨٢

١٨٠٧ م مرة أخرى واستطاعت القوات المصرية الممثلة في الشعب والقائد الذي ولاه الشعب آنذاك « محمد علي » هزيمة الانجليز في رشيد سنة ١٨٠٧ م .

واستطاع محمد علي أن يقيم دولة حديثة في مصر يجمع عليها أقطارا إسلامية أخرى مثل الشام والحجاز والسودان ويتمكن من اقامة وحدة عربية لها شكل الإمبراطورية الاسلامية من ناحية الشكل السياسي .. (١)

وبالطبع لم يرق هذا للانجليز المنهزمين فأخذوا في إحتواء الدولة الاسلامية الحديثة وهدمها من أطرافها فعدوا معاهدة مع إمام مسقط واحتلت عدن ، وهاجمت سوريا وأجبرت مصر على أن ترجع الى حدودها القديمة وذلك بعد أن اجتمعت القوى الأوربية وتكتلت مع بريطانيا ومنها روسيا ، والتمسا وبروسيا . وهذا مع مهاجمة القوى العثمانية أيضاً للدولة الحديثة والتي رأت في قيامها خطرا عليها . (٢) .

وسارت الأحداث يدفع بعضها بعضا والعالم الأوربي في جومشجون بالتوتر السياسي ولانريد أن نسترسل في هذا لأنه طويل وليس من بابنا في شيء إلا أننا نقول إن التوتر الأوربي كان ظهوره على الدوام ومسرحه هو الوطن الاسلامي .. والتحالف الأوربي منصب في قالين على الدوام وحلفين لايتوحدان ..

ونظرا لأهمية مصر عربيا واسلاميا وعالميا لوقوعها على خط الوصل بين المستعمرات الشرقية في الهند وغيرها .. كانت أكثر من غيرها مسرحا لتنافس الدول الأوربية ... فلم يغمض جفن لواحدة عنها حتى لاتنفوز الأخرى دونها بذلك الحلم ..

وعندما حصلت فرنسا على امتياز حفر قناة السويس وقد أعطاه محمد سعيد لصديقة الفرنسي « فرديناند دي ليسبس » وهو غاية في الاجحاف إذ تحفر القناة في أرض مصرية بأيد مصرية ثم « يستغلها الفرنسيون ٩٩ سنة » . وبالفعل تم حفرها سنة ١٨٦٩ م وتم افتتاحها فعلا أمام الملاحة العالمية لتقطع على خط الرجاء الصالح تفرده بهجرة الوصل بين الشرق والغرب ومما زاد الأمر سوءاً بعد ذلك بيع اسماعيل نصيب مصر أسهم الشركة العالمية لقناة السويس للإنجليز خشية من وقوع مصر تحت النفوذ الفرنسي .. فأصبح للبلدين في مصر حق شرعي كي يأتوا يوما ما لحمايته « (٣) ..

(١) السابق ص ٢٢٤ .

(٢) السابق ص ٢٣٨ .

(٣) السابق ص ١١٢ .

وأخذت الزعامات تظهر معلنة سخطها على الوضع السياسي في مصر وسائر الوطن العربي والاسلامى تجاه تسلسل الإستعمار الغربى بهذه الصورة السافرة ووضعه مصلحته الشخصية فوق كل اعتبار وما الشرق أمامه إلا حقله الذى يغرس فيه أغراضه المسمومة ، وأخلاقه المشثومة لردالتها وحقارتها وافساد الشعب وأبنائه وتخربه بعضهم على بعض وايقاع الدسائس . وكل هذا هين فى جانب الغرس الفكرى فى الوطن الاسلامى مما فيه قتل للعقل الاسلامى وجعل المسلم يسير بالجسم المسلم والعقل الأوربى والعقيدة الأوربية ، حتى فى اللباس الأوربى بدلا من لباس التقوى وصورة الاسلام .

ونظرا لأن هذه الآونة بالذات قد شهدت مولد الإمام كان لنا أن نقف فيها قليلا لنسمع فيها نفثة مصدر ورأى عالم جليل تحت عنوان « الاستعمار الغربى يتسلسل إلى العالم الإسلامى فى بداية منتصف القرن التاسع عشر ، وعلى التحديد فى سنة ١٨٥٧ م » فيقول الدكتور محمد البهى : « تم للإنجليز الإستيلاء على الهند سياسيا ، وانتقلت سلطة الحكم رسميا من شركة الهند الشرقية (التى تأسست فى ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠ م) والى التى انضمت إلى شركة أخرى جديدة فى سنة ١٦٨٩ م) إلى التاج البريطانى . وزالت بذلك إحدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى وهى دولة المغول فى الهند أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمور لىك مؤسس هذه الأباطورية) الاسلامية فى آسيا الصغرى . أما الدولتان الأخريان إذ ذاك ، فهما : الدولة الصفوية فى إيران ، ودولة الأتراك العثمانيين فى آسيا الصغرى وشرقى أوربا .

كما تم فى السنة نفسها - وهى سنة ١٨٥٧ م - استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء ، بعد أن ابتدأوا غزوها سنة ١٨٣٠ م .

ومن قبل هاتين الدولتين الاستعماريتين - إنجلترا وفرنسا - احتلت هولندا فى بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية التى تأسست فى سنة ١٦٠٢ م . وذلك بعد ماضع استقلال البرتغال باعلان ملك أسبانيا ضمها إلى بلاده فى سنة ١٥٨٠ م . تلك الدولة التى عبرت طريق الاستعمار الغربى المسيحى فى وسط آسيا وشرقها فى الهند وفى أندونيسيا سنة ١٥١١ م ، والتى حصل ملكها من البابا اسكندر على صك رسمى بأن البرتغال : « سيدة بحار العرب والعجم والهند والحيشة » .

فبعد قرنين ونصف ، أى منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى إلى النصف الثانى من القرن التاسع ، تمكن الاستعمار الغربى المسيحى من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين فى وسط آسيا وشرقها ، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية فى افريقية ، كما تمكن من مد نفوذه إلى قلب العالم الاسلامى ومركزه الرسمى فى منطقة الشرق الأدنى . وبذلك طوق العالم الاسلامى من الشرق والغرب وسلط الأعبية ودسائسة على بقية التجمعات الاسلامية الأخرى بين هذين الطرفين . فوهنت هذه التجمعات ، وانحل عقدها ، وسقط بعضها أثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربى ، وماجأت الحرب العالمية الأولى وانقضت أجلها ، حتى أصبح العالم الاسلامى كله تحت نفوذ هذا المستعمر . «(١) .

ولو أننا استطعنا حل اللغز الاستعمارى بأن الاستعمار أصله لتأمين سوق انتاجه فى الشرق فهذا يحتاج إلى دولة أو دولتين لكنه كى يمتد فيشمل جميع البلاد الاسلامية على النحو الذى رأيناه ونراه فيما بعد على فترة طويلة وحتى منتصف القرن العشرين فإن تفسير ذلك الوحيد إنما هو الأمل فى المسيحية الوثنية على الشرق الإسلامى بل بمعنى أوضح هو تنصير تلك البلاد الاسلامية بوسيلة أو بأخرى ..

وإن الأثر البالغ فى نفوس . القادة الأوربيين وعلى رأسهم رجال الكنيسة ليعبر عن ذلك أصدق تعبير ويوضحه كأجلى ما يكون ..

يقول مستشرق فرنسى . « اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة لاتجارى ، حاملين فى حقائبهم بعض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوروبا ، ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا بل أقرب فى الوصلة إلى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم . ألا وهى المدينة الآرية المسيحية . ولذلك اضطروا إلى الوقوف عند الحد الذى إليه وصلوا واکرهوا على الرجوع إلى أفريقية حيث ثبتت أقدامهم أحقابا متعاقبة ، ولكن لايزال الهلال ينتهى طرفاه : من جهة بمدينة القسطنطينية ، ومن أخرى ببلدة فاس فى المغرب الأقصى ، معانقا بذلك الغرب كله ..

« فى تلك البقعة الأفريقية التى أصبحت مقر ملك الاسلام . جاءت الدولة الفرنسية لمباغتته . جاء القديس لويس . الذى ينتمى إلى أسبانيا بوالدته ليضرم نيران القتال فى

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الدكتور محمد البهى الطبعة التاسعة ص ٢٣

مصر وتونس ، وتلاه لويس الرابع عشر في تهديده الامارات الأفريقية الاسلامية . وعاود هذا الخاطر نابليون الأول ، فلم يوفق إلى تحقيقه الفرنسيون إلا في القرن التاسع عشر ، حيث أخفق على دولة الإسلام التي كانت لاتنى في متابعة الغارات على القارة الأوربية فأصبحت الجزائر في أيديهم منذ سبعين عاما وكذلك القطر التونسي منذ عشرين عاما » .

« إذن فقد صارت فرنسا بكل مكان في صلة مع الإسلام . بل صارت في صدر الإسلام وكبده ، حيث فتحت أراضيها ، وأخضعت لسلطوتها شعوبه ، وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، وهي تدير اليوم شئونه ، وتجبى ضرائبه ، وتحشر شبابه لخدمة الجندية ، وتتخذ منهم عساكر يذبون عنها في مواقف الطعان ومواطن القتال » ثم تكلم بعد ذلك كلاما كثيرا مجمله عناصر ثلاثة رئيسية :

« أولا : إن ما لدى المسلمين من معرفة وثقافة هي بعض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) .. وليست ثقافة أصيلة ابتدعوها !

« ثانياً : إن رسالة فرنسا بين المسلمين الذين خضعوا لسلطوتها هي : (ملح المدينة وروحها) . التي يحملها شعب آرى مسيحي جمهورى إلى شعب إسلامى سامى الأصل .. له تقاليد وعادات تغاير عادات وتقاليد المسيحيين الآريين !

ثالثا : إن المسلمين الذين وقعوا تحت سيطرة النقوذ الفرنسى ليسوا منقطعى الصلة عن بقية المسلمين فى الخارج ، بل ترتبط بعضهم بعضا رابطة قوية وديار المسلمين التى تحتلها فرنسا يعتبرها المسلمون القانطون فيها والخارجون عنها « دار حرب » وليست « دار إسلام » .. ولذا فالخطر موجود فى الداخل والخارج !!

هذه الروح التى تجلت عند هذا المستشرق الفرنسى ، هى نفس الروح التى يحملها المستعمر الفرنسى والإنجليزى والهولندى فى نظرتهم إلى المسلمين فى آسيا وأفريقية ، وفى توجيهه إياهم ، وفى سلوكه معهم .. وهى : ليست للمسلمين أصالة فى الثقافة ، فليست لهم قيمة ذاتية !

ولذا يجب على المسلمين أن ينتقلوا إلى الحضارة الأوربية الآرية المسيحية !! ويجب

على شعوب أوروبا المسيحية الآرية أن تتعاون فيما بينها على دفع الخطر الإسلامي الكامن ضمن الوحدة الإسلامية : الفكرية والروحية والغائية ... » (١) .

ويذكر المستشرق بعد ذلك أن سبب الحروب الصليبية والدافع إليها هو استرداد بيت المقدس مقر المسيح وأن وجود بيت المقدس في يد المسلمين يعنى غلبتهم .. وهذا ما لا يرضاه مسيحي واحد . إذن فالمراد والغاية من هذا الحقد الزاحف هو السيطرة المسيحية على البلاد الإسلامية شرقا كانت أو غربا حتى ولو كانت أندونيسيا أو الهند الشرقية ولو كانت الصومال قديما ولو كانت المغرب وأطراف أفريقيا المراد هو الزحف المسيحي إلى هذه البلاد والاستيلاء عليها وقلبها صليبية ترفع الصليب وتدعو المسيح .. وإضعاف المسلمين كوسيلة للسيطرة عليهم .

وانخذوا في سبيل إضعاف المسلمين في إسلامهم وسائل مختلفة ومتعددة تنحصر فيما يلي :

« ووسائله - الاستعمار - لذلك تنحصر في توجيه الفكر الإسلامي نحو تحقيق هذه الغاية وقد برز هذا التوجيه في صورتين تتم كلتاهما عن هذه الغاية :

الصورة الأولى : قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقدمية في الإسلام : تبغى تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية ، أو بعبارة أخرى تبغى عدم تحديه ومعارضته ، سواء في مباشرة سلطته على المسلمين ، أو في إدخاله ما يسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم ! .

الصورة الثانية : قيام بعض الغربيين الآريين المسيحيين بإبرار الخلافات المذهبية وتأكيد الفجوات والثغرات . بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، من الوجهة الشعبية أو الجغرافية أو نظام الحكم .. مع شرح كثير من مبادئ الإسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية : وذلك كله بالإضافة إلى تمجيد القيم المسيحية ، والحضارة الغربية والنظام السياسى والسلوك الفردى للشعوب الغربية :

وفي مقابل هاتين الصورتين برز اتجاه إسلامى فكرى آخر وهو حركة المقاومة للإستعمار الغربى .. سواء في مظهره السياسى أو فيما يستبطنه ويخفيه من الهجوم على

(١) السابق ص ٢٤ وما بعدها .

الإسلام واضعاف المسلمين . وهذا إتجاه يعتبر كرد فعل مباشر لتوجيه الاستعمار الغربى للتفكير الإسلامى فى صورتيه السابقتين .. «(١) .

وما قامت الحركات الفكرية فى الوطن الإسلامى إلا مناهضة للفكر الأوربى سواء فى أبناء البلاد أنفسهم والذين قد مالت رءوسهم وساروا فى الناس بأجسام تحمل فى طياتها عقولا غربية لا تحمل من الإسلام شيئا ..

أو مناهضة للمستشرقين الذين دسوا السم فى العسل ، وقام بعضهم سافرا بالعداوة للإسلام ونبى الإسلام ﷺ . وشككوا فى العقائد وضعفوا الأحاديث وردوا الصحيح وجاءوا بإفك قديم .. يحمل بين جوانحه ذلك التراث القديم من العداوة للإسلام والمسلمين ..

ولعل الأحداث التى تعاقبت فى العالم الإسلامى وفى مصر بوجه خاص سواء كانت سياسية أو فكرية أو ردود فعل عسكرية ، كل ذلك يفسر المعنى السابق وهو رد الفعل للتدخل الأوربى فى البلاد الإسلامية بهذا القصد السابق لإضعاف شوكة المسلمين . بعض الحركات الفكرية التى قاومت الإستعمار فى القرن التاسع عشر .

أولا : السنوسية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ..

والمفكر الأول الذى قامت به الجماعة الإسلامية هو « الإمام السيد محمد بن على السنوسى بن العربى » وقد ولد فى ديسمبر سنة ١٧٩٨م وتوفى فى سبتمبر سنة ١٨٥٩م (٢) . أى جاوزا الستين بقليل وكانت وفاته ببرقه بأرض ليبيا - وفيها زاوية الجغبوب الشهيرة - ثم خلفه ابنه الأكبر السيد محمد المهدي ثم خلفه ابن أخيه أحمد الشريف (٣) وجاهد السنوسيون الاستعمار الغربى ممثلا فى دولتين أولاها : الفرنسية الثانية: الإيطالية . جاهدوا مع الأولى جهادا كبيرا ودافعوها بكل شجاعة (٤) .. وكانت شجاعتهم مع الظليان أكبر .. وبالرغم من أن الفرنسيين استطاعوا أن يلجقوا بالمجاهدين

(١) السابق ص ٢٨ .

(٢) حاضر العالم الإسلامى تأليف لوتروب الأمريكى ترجمة عجاج نويهض حـ ص ٢٩٥ تعليق الأمير شكيب أرسلان . السنوسية دين ودولة د . محمد فؤاد شاكر ص ٢٠ ، ٢٣ .

(٣) حاضر العالم الإسلامى ص ٢٩٥ ج ١ ، السنوسية دين ودولة ص ١٢ .

(٤) السنوسى الكبير . بقلم محمد الطيب بن إدريس الأشهب ص ٨٠ .

هزيمة كبيرة^(١) فإن الإيطاليين قد أبادوا من الشعب النصف تقريبا : يقول الأمير شكيب أرسلان :

إن أخواننا الطربلسيين لأمر يريد الله . ابتلوا من الاستعمار الإيطالي الفاشيستي بالدهاية الدهماء والبله الصماء التي مهما كثرت مصائب الإسلام في هذا العصر فلا شيء منها يشبهها ..
ثم يقول :

كل الأدلة متظاهرة من أعمال إيطاليا في طرابلس وبرقة على أن مراد الفاشيست هو استئصال الشعب الإسلامي من ذلك القطر لإحلال اللاتين محله ، ولقد وصلت إيطاليا إلى هذا الغرض وإن لم يكن بتمامه فإلى جانب كبير منه .. فلقد كان أهالي طرابلس وبرقة قبل غارة إيطاليا عليهما مليوناً ونصف مليون من النسم فلم يبق منهم الآن بحسب الإحصاء الأخير سوى سبعمائة ألف نسمة فيكون قد تناقص عددهم إلى النصف ..^(٢) وقد دخل الطليان الأرض المسلمة في اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٩١١ م ، وطال الحرب بين قوتين غير متكافئتين وعلى الرغم من ذلك فقد تحمل السنوسيون متاعب جسيمة وأذاقوا الطليان معنى الجهاد . ووقعت المتاعب مرة أخرى من جانب العرب رحل على أثرها عزيز المصري وبرحيله انقطعت المعونات عن المجاهدين ..

وبرحيل عزيز بك من برقة أصبحت القيادة الفعلية بيد السيد أحمد الشريف السنوسي كبير الطريقة السنوسية ، وكان أكثر اعتماده على عمر المختار في الأمور الجهادية^(٣) وظل الجهاد دامياً بين الطرفين حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وقد انضمت القوات السنوسية للإنجليز مستجيرة من الطليان وما ترك الطليان أرض ليبيا حتى وضعت الحرب أوزارها واستسلم الطليان بدون قيد أو شرط .. وجماعة يؤسسها مقكر إسلامي تقوم بتلك الأعمال لهي جديدة بالذكر والثناء ..

(١) السنوسية دين ودولة ص ١٠٠ .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض ص ٨٥ ج ١ .

(٣) السابق تعليق الأمير شكيب ص ١٣٥ .

ثانياً مدرسة السيد جمال الدين الافغانى :

تتميز هذه المدرسة الفكرية بأستاذها فهى ليست قاصرة على طرف فى الجهاد دون غيره ولا ناحية منه دون سواها .. وان كانت المدرسة السنوسية بإمامها السيد محمد بن على السنوسى الكبير قد جاهدت وكذلك ما سبقها من المدارس فإنما كان جهادهم مقصوراً على « تكثيل المسلمين ضد النفوذ الخارجى عن طريق استعراض أوصاف الكفر والإيمان فى ذهن المسلم ، وما يجب على المسلم من اتباعه فى شأن الولاية العامة قبل غير المسلم من الحكام والولاة ، إذا قيضن لهؤلاء أن يديروا أمر المسلمين ..

ولكن جمال الدين الأفغانى كان - إلى جانب ذلك - ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب ومن تاريخ الأمة الإسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة التى تفرع المسلمين من السياسة الاستعمارية فى البلاد الإسلامية (فى الهند ومصر على الخصوص) ... هذه الأمثلة التى كان ينتزعها من شواهد الحياة الإسلامية ومظاهرها فى وقته ، مع بيان مدى ألعيب السلطات الأجنبية ودسائسها ، وهدفها الذى نهايته بسط النفوذ الأوربى لصالح الجماعة الأوربية وحدها على رقعة العالم الإسلامى ..

هذا الاحتكاك المباشر نفسه هو الذى أظهر حركة جمال الدين فى صورة حركة سياسية .. وهو نفسه السبب فى أن يلقي جمال الدين بمرکز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق الإسلامى « للمواطنين جميعاً : مسلمين ومسيحيين .. »^(١) .

ولقد تعدد نشاط السيد جمال الدين نظراً لسعة أفقه وكثرة تنقله ووقوعه على الأحداث فى بيئتها ومعرفته الجيدة بحيل الاستعمار والمستعمرين وإخلاصه الشديد للإسلام والمسلمين وإرادته لقيام وحدة إسلامية تنمحي أمامها الأسوار ويجتمع أهلها تحت راية القرآن ..

وألوان نشاطه كثيرة متعددة لا نستطيع استقصاءها . فقد كتب وتحرك هنا وهناك وجاهد الاستعمار وحاربه وإن كانت وقفنا معه فى الأخيرة فى مصر والهند ..

« ففى مصر : فى المدة الواقعة بين مارس سنة ١٨٧١ و ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ م عاصر جمال الدين بعثة وفدت سنة ١٨٧٥ م إلى مصر لفحص ماليتها ، وإنشاء مصلحة للرقابة المالية يخضع الخديوى لمباشرتها وهى تلك الرقابة التى تمثلت فى « صندوق

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٦٣ .

الغلبة والنصر وطول النفس سيكون حليفهم .. وهذا الأثر البالغ وجدناه في قائد تلك الحركة الفكرية السيد جمال الدين .. فما أن وصل إلى مصر حتى وجد الأرض صالحة خصبة ومتعطشة والنفوس متوثبة والأنظار مشرّبة تنظر بين الحين والحين إلى قول سديد أو فكر سليم وما أن وجد كل منهم صاحبه حتى دارت الحلقة واتسعت أرجاؤها واجتمع فيها ..

« كل من الشيخ الإمام محمد عبده ، وسعد زغلول . وغيرهم من الرجال الذين سيلعبون دورا هاما على مسرح السياسة المصرية ، والحركة القومية ، وكذلك الكفاح ضد الإستعمار » ..

« وإذا كان زواره في المنزل في غالبيتهم من طلاب الأزهر ، فإن الملتفين حوله في المقهى كانوا من الساسة والصحفيين والشعراء ورجال الثورة المقبلين ، فينهم محمود سامي البارودي ، وعبد السلام المويلحي وسليم نقاش ، وأديب إسحاق ، علاوة على الشيخ محمد عبده والشيخ إبراهيم اللقاني ، والشيخ سعد زغلول ، والشيخ إبراهيم الهلباوي » ... « ولقد أثر السيد جمال الدين الأفغاني في هذا الوسط الأدبي والصحافي والفكري المحيط به تأثيراً كبيراً » (١) .

ولم يترك السيد جمال الدين مكانا إلا خاضه رجاء أن يصلح أهله ، ولم يجد الأعداء مبررا لإخراجه من البلاد إلا أنه رئيس جماعة من الشباب ذوى طيش وفساد ... إنه لأمر غريب أن يرمى المصلح بالفساد ويلبس الثعلب مسوح المصلحين ..

وبعد رحيل السيد جمال الدين عن مصر قام فيها تلاميذه يقود حركتهم الفكرية الإمام محمد عبده وسار الجميع في صوب الاستقلال وتحرير البلاد . فكانت الثورة العرابية ووقوع الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ م ونفى أحمد عرابي زعيم الثورة ومحمود سامي البارودي إلى سيلان ، ونفى الإمام محمد عبده إلى بيروت ثم تركها إلى باريس ليلحق بأستاذه جمال الدين أما عبد الله البنديم فقد اختبأ في البلاد (٢) ..

وهكذا نجد أتباع السيد جمال الدين والإمام محمد عبده قائد الحركة الفكرية في هذا الوقت هم أصحاب الريادة السياسية والحركة الوطنية وقد ارتبطت بهم الأحداث المقاومة

(١) المحمل في تاريخ مصر الحديثة د. حلال يحيى ص ٢٦٩ وما بعدها باختصار

(٢) السابق ص ٢٩٩ .

للإستعمار والمستعمرين سواء في سنة ١٩١٩ م والتي كان زعيمها سعد زغلول أو غيرها ..

ثالثاً : مدارس أخرى

وأوضح مدرسة فكرية ظهرت في أثر ذلك هي مدرسة الإمام أبى العزائم والتي نحن بصدد الحديث عنها .

والخلاصة في العصر ..

أن الاستعمار لم يترك طوقا يطوق الإسلام به إلا شدة ، ولم ير خيراً يفيض إلا سارع إلى سد معينة . وليس هذا بجديد على حزب إبليس وجنوده ، ورب ضارة نافعة فلعل إخراج المسلمين من الأندلس يكون لهم كالمصل الواقي من الخروج من مكان آخر .. ولعل احتلال البلاد يعرف الناس مدى خيراتنا ، وأهميتها . ولعل فكر المستعمر وعقله ومكره قد خلق فكراً مضاداً يستطيع أن يقاوم ويمارن ويدهن فإن الدواهي لا تدفع بالتائم وقد يكون وجود الاستعمار في البلد الإسلامى قد أظهر – ونقولها بمرارة – أهل التودد إليه من تجار الخراب وسماسرة الحروب من يرون من الغرب سيدا ومن العدو قريبا وحببنا فيكون ذلك أوضح في التعامل معهم .

هذه تركة العصر الثقيلة التي يحملها على عاتقه ويتحمل منها على قدرة كل داخل في العصر وقادم إليه من عالم الأرحام السالم الآ من نعم هذه تركة يرثها كل قادم على قدره . فما بالناس بإمام يشتغل بالدعوة الإسلامية يحمل على كاهله عبء أجيال من البشر هم أتباع وأبناء وتلاميذ له كيف يحفظهم من الفتن إذا لم يعلمها أو نقول كيف يعلمهم أن المؤمن يخرج من الفتنة أشد نضارة مما كان قبلها فالذهب لا يزداد بالنار إلا حسنا .. هذه تركة العصر يحملها كل إمام ويتصرف فيها بمنهج البصيرة .

للإستعمار والمستعمرين سواء في سنة ١٩١٩ م والتي كان زعيمها سعد زغلول أو غيرها ..

ثالثاً : مدارس أخرى

وأوضح مدرسة فكرية ظهرت في أثر ذلك هي مدرسة الإمام أبي العزائم والتي نحن بصدد الحديث عنها .

والخلاصة في العصر ..

أن الاستعمار لم يترك طوقا يطوق الإسلام به إلا شدة ، ولم ير خيرا يفيض إلا سارع إلى سد معينة . وليس هذا بجديد على حزب إبليس وجنوده ، ورب ضارة نافعة فلعل إخراج المسلمين من الأندلس يكون لهم كالمصل الواقي من الخروج من مكان آخر .. ولعل احتلال البلاد يعرف الناس مدى خيراتها ، وأهميتها . ولعل فكر المستعمر وعقله ومكره قد خلق فكرا مضادا يستطيع أن يقاوم ويمارن ويداهن فإن الدواهي لا تدفع بالتائم وقد يكون وجود الاستعمار في البلد الإسلامي قد أظهر - ونقولها بمرارة - أهل التودد إليه من تجار الخراب وسماسرة الحروب من يرون من الغرب سيدا ومن العدو قريبا وحبيبا فيكون ذلك أوضح في التعامل معهم .

هذه تركة العصر الثقيلة التي يحملها على عاتقه ويتحمل منها على قدرة كل داخل في العصر وقادم إليه من عالم الأرحام السلام الآ من نعم هذه تركة يرثها كل قادم على قدره . فما بالناس بإمام يشتغل بالدعوة الإسلامية يحمل على كاهله عبء أجيال من البشر هم أتباع وأبناء وتلاميذ له كيف يحفظهم من الفتن إذا لم يعلمها أو نقول كيف يعلمهم أن المؤمن يخرج من الفتنة أشد نضارة مما كان قبلها فالذهب لا يزداد بالنار إلا حسنا .. هذه تركة العصر يحملها كل إمام ويتصرف فيها بمنهج البصيرة .

حياته ونشأته :

نستطيع أن نقسم مراحل حياته إلى أدوار ثلاثة .. ذلك لأن الإمام قد عاش ما بين سنة ١٢٨٦ من الهجرة إلى ١٣٥٦ هـ فيكون ذلك سبعين سنة قمرية وقد مرت تلك الحياة الكريمة بأدوار ثلاثة أولاً : دور النشأة وتلقى العلم ، ثم دور التعليم والعمل في الوظائف الحكومية في مصر والسودان ، ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة وهي دور التفرغ الكامل للتعليم والتربية والتراث العريض الذي خلفه الإمام ..

أولاً : دور النشأة :

إمتازت نشأة الإمام في أطوارها بالذكاء الشديد والتوفيق السديد .. وأبوين كريمين حرصاً حرصاً شديداً على تعليم الأبناء وتربيتهم تربية دينية وتنشئة إسلامية ..
- فحفظ القرآن الكريم صغيراً مع إخوته في مكتب القرية وكان أسرع إخوته حفظاً للقرآن الكريم وأجاد الكتابة والقراءة ولم يكتف والداه بهذا فقد كانت أسرته من ذوى اليسار فجلبت له مدرسين من العلماء يعلمونه مبادئ العلوم :

- فحفظ في تلك الفترة المتون على يد الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار وهو من علماء الأزهر الشريف فحفظ كتاب أقرب المسالك لمذهب مالك بن أنس ، وقسم العبادات من الموطأ ، ومن علم التوحيد متن السنوسية . ومن النحو الأجرومية والألفية ، ومن علم الحديث .. المختصر للإمام الزبيدي ، وكان الشيخ عبد الله المحجوب والده وهو من العلماء لا يكتفى بذلك فأخذ يحفظه كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام والطبقات الكبرى لابن سعد .. وكان يشترك مع إخوته في تلك الدراسة الأولية .

وكان له ساعات يقضيها وحده بين الكتب في مكتبة والده ..

وقد درس علوم التوحيد مع الشيخ الجليل محمد القفاص وكان يقضى مع هذا الشيخ وقتاً وكذلك مع الشيخ محمد الخطيب في دراسة الفقه .. وكلا الشيخين من علماء الأزهر الشريف وقد درس علم النسك والزهادة على والده السيد عبد الله المحجوب

وكذلك الشيخ غانم الخشاب .. وامتازت هذه الفترة بحبه الشديد للعلم ، وحب شيوخته له وحرصهم على إمداده بالعلوم والفهوم المختلفة لما رأوا فيه من فطنة ونجاعة وأهلية للعلم والتعلم وصلاح مع صغره ...

مع اجتماعه بكثير من علماء الطبقات التابعين لمذهب السلف الصالح من الرجال الصادقين من خلال زيارة والده لهم وصحبته له ، أو زيارتهم لوالده ... (١) .

(١) الإمام محمد ماضى أبو العزائم . عبد المنعم شقرف ص ٢٠ .

ثانياً : دور التعليم

وكان أخوه الأكبر السيد أحمد قد أسس جريدة المؤيد مع الشيخ على يوسف سنة ١٨٨٩م وكانت له صحبة بقيادة الفكر وزعماء السياسة والإصلاح .. فاستقدم الأسرة إلى القاهرة فكانت فرصة الإمام حيث التحق بالأزهر الشريف ، والتقى بقيادة الفكر .. وهنا نترك الأمام يتحدث عن تلك الفترة فيقول :

— وفي السنة السادسة عشرة من عمري توجهت إلى الأزهر الشريف ، وكان شقيقى أحمد ماضى إذ ذاك مديراً للجريدة المؤيد فاشتغلت في تلقي العلوم مع المحافظة على ما تألفه نفسى من دوام زيارة الأولياء وصحبة أهل الصلاح والتقوى . ثم حضرت على الشيخ حسن الطويل علوم التوحيد بالأزهر ، فمالت نفسى إليه فصحبته زمناً ، وكنت أشتغل معه في منزله بمطالعة كتب الحكمة وأصرف بعض أوقاتي في صحبة الشيخ حسين الحصافى » .

« وكنت في أغلب أوقاتي أكتب شروحا ومشاهد وأذواق على بعض الأحاديث النبوية والآيات القرآنية . وأكتب بعض أبيات نظمية ومواجيد قلبية في أمور أعتبر بها مما يدل على قدرة الله تعالى وبديع صنعه ، وصار ذكرى قراءة القرآن ، والتدبر في معانيه . وفي كلام رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة . وسيرة خلفائه وأهل الخير من السلف . لا لقصد أو هوى ولكن لميل من النفس ورغبة !

« .. وكنت وأنا بمصر كلما سمعت بأحد الصالحين أو بولى من الأولياء أو بعالم تقى من العلماء زرتهم وسمعت منه ، فإذا نطق بالحكمة أو بشيء من علوم التوحيد أو الأخلاق الفاضلة أحببته . وإن رأيت غير ذلك سلمت له أمره وانصرفت عنه ، وما وجدتنى معارضا أو منتقدا أو مجادلا ، اللهم إلا إذا رأيت ما يغضب الله عز وجل فكنت أنصح وأعظ برحمة ولين .. » .

« وكان لى إخوان يطلبونى ليسمعوا منى ما كنت أكتبه من الأمور التى أعتبر بها .. » .

« .. ثم تخرجت في دار العلوم وعينت مدرسا وانتقلت إلى مدينة المنيا أوائل عام ١٣١١ للهجرة . (١٨٩٢م) فكنت أؤدى الواجب على نهارا وأصرف أكثر أوقاتي بين العامة

وأهل العلم لقراءة دروس مذهب مالك والتكلم في الأخلاق والتوحيد حتى أنست
بإخوان لي يعينوني على مواجيدى .. »

« ثم انتقلت إلى الإبراهيمية من أعمال مديرية الشرقية وفيها ظفرت بإخوان أحسنوا
الإصغاء والقبول . »

ثم نقلت الى سواكن وفيها قرأت البخارى لعلمائها وقسم العبادات من الموطأ للإمام
مالك ، وصار لي اخوان يحسنون الإقتداء والفهم في علوم الحكمة العالية .. « ثم إلى
حلفا وكان بها كثيرون يشتغلون بالملاهى فوفقهم الله تعالى للإقبال على عمل الأركان
الإسلامية وسماع علوم الشريعة ..

« ثم نقلت من حلفا الى أم درمان من أعمال السودان أيضا فقرأت الموطأ وحكم ابن
عطاء الله بمسجدها وأهلها يحبون العلم وأهل العلم إلا أنهم محتاجون لفهم روح
الشريعة ..

« ثم نقلت إلى الخرطوم فقرأت البخارى والموطأ والتوحيد والأخلاق وأهلها مؤهلون
لتلقى علوم الحكمة العالية .. » (١)

وتلك هى الفقرة الثانية من أدوار حياته ظل في السودان حتى أقصاه الحاكم الانجلىزى
سنة ١٣٣٣ هـ وذلك لدروسه وفتاويه التى كانت حربا على الاستعمار وأعوانه-، ولما
أحسوا ذلك منه لم يجدوا بدا من نفيه ولما تدخل أنباؤه وتلاميذه اكتفى بإقصائه الى
مصر ..

ثالثاً : جهاده فى الدعوة الاسلامية

وهى - المرحلة الثالثة - استفراغ أقصى الجهد فى الدعوة الاسلامية سياسيا وتربويا
حتى لم يكن له فى اليوم واللييلة من راحة إلا القليل جدا ، ومن قرأ برناجه اليومى
يتعجب من حياة كلها الجد والسفر ، والدروس اليومية ، والإملاءات للمواجيد
والكتب والمجلات وردوده على الأسئلة والإستفسارات والخطابات التى ترد عليه من
شتى الأنحاء ، ومقابلاته للوفود السياسية ورجال الفكر وسفراء الدول الإسلامية ..
وغير ذلك مما لايقوى عليه إلا مجاهد باع نفسه وأهله لله رب العالمين .. كل هذا فضلا

(١) مقدمة أصول الوصول لمعية الرسول ﷺ للإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم الطبعة الأولى ١٩١٢ م .

عن تربيته لجيل كامل من العلماء والحكماء .. وتعليمهم والقاء عيون الحكم وأنوار الحكمة عليهم .. مما ظهر أثره في التراث الخالد الذي أبقاه زخرا للمكتبة الاسلامية . وظل هذا العطاء المتدفق من ميزات الحقائق النورانية .. حتى كان آخر اجتماع له بأبنائه وتلاميذه في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٥٦ من الهجرة فما أن رحل الأبناء والتلاميذ حتى دعوا للتشيعه وتوديع تلك الحياة النورانية والعلم الرباني والمواجيد القلبية والوالد والمعلم والمرنى الذى أحسوا معه بالقربه . وفى جواره بالأوبة . وفى رؤياه بالأمن وفى صوته بالحق الذى يجمع الخلق على الحق « وبالحال الذى يهجم على القلوب فيجذبها الى علام الغيوب ، ودعوه .. وقد ظل باقيا فى تراثه وتلاميذه .. وجهادة ومأثور قوله .. وحياته التى لاتنسى ومواجيده التى لاتستقصى ..

صور الجهاد عند الامام :

لم يعرف عن الامام فى حياته كلها بأدوارها الثلاثة والمعروفة سابقا أنه هاون الاستعمار أو رضى به ساعة من الزمان فضلا عن يوم واحد .. وقد كانت ثورة عراقى والتى انتهت بالإحتلال الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢م كانت والإمام صبيا فى الثالثة عشر من عمره ..

ولكنه لم يكن غافلا عما يجرى حوله من أحداث ، وأخوه الأكبر وهو منه قريب كان قد أصدر جريدة الآداب الإسلامية بالاشتراك مع الشيخ على يوسف ثم أنشأ جريدة المؤيد فلا ريب وقد ذهب إلى القاهرة فى السادسة عشرة من عمره أنه أصبح قريبا من الأحداث .. ومايجرى امام سمعه وبصره ..

فلما كانت المرحلة الثانية أو الدور الثانى من حياته امتاز هذا الدور تفعيد التربية الإسلامية على النحو الصحيح وبث روح الأخوة الصالحة ، ولم شعث الأمة الاسلامية المتقرفة أيدى سبأ .. بما كان يلقيه من دروس ، وما يمليه من كتب ومايفاض عليه من مواجيد هى احياء للروح ، وبعث لها فى ثوب قشيب كله وحياء تبعث فى إثره على النشاط لأعمار الكون وتحقيق سر الخلافة لله تعالى ..

وقد كان هذا الدور من الأهمية بمكان .. ذلك لأنه كان رعاية للنبت الصغير حتى لاتقاذفة الريح الهوجاء ، ولاتأخذها الأعاصير فتقتلعه من جذوره .. بل كان رعاية دائبة

في الليل والنهار . وقياماً على الغرس الطيب بالظلة حتى يشتد ساقه وتمتد جذوره ويقوى
في مواجهة الأعاصير فيملاً العين . ويسر الناظرين ..
فكانت تلك الفترة مهمة في أمرين ..

أولاً : خلق قادة تربوا دينياً على الآداب الإسلامية والشمائل المحمدية والخلق العظيم بعلم
يقين وعين يقين ظهرت منهم السياسة بعد ذلك من حب الله والوطن .. فلم يكونوا
متاجرين فيملاً الواحد منهم الأرض جعجعة ولا يظهر طحننا ..

ثانياً : خلق قاعدة عريضة من المتعلمين العارفين والناهين الذين أدركوا باليقين الحق
معنى الدين ففسرلوا به حتى كان منهم بمثابة الروح من البدن ، وعلموا من الدين أن
حب الوطن من الإيمان فتكون تلك القاعدة ردةً لجماعة القادة وغرس صالح للأمة منهم
ينتشر الصلاح ويعم النور في شتى البطاح .

وكان للإمام في تلك المرحلة أيضاً صوت عال ضد الاستعمار والمستعمرين وكذلك
ضد الذين يحادون الله ورسوله .. ويتبعون غير سبيل المؤمنين من الذين يعاونون
الإستعمار ويسيروا في ركابه .

وقد انتهى هذا الدور بأن قرر الإنجليز نفيه من السودان إلى خارج البلاد الإسلامية كما
جرى لمن قبله .. ولولا أن تدخل الأبناء – وكان منهم كثير من ذوى الشأن – واجتمعوا
عندما سار الخبر في أنحاء البلاد وعرضها حتى كادت الثورة أن تطل فاكتفى الإنجليز
بتحديد إقامته في المنيا .. ثم بعد ذلك في القاهرة .. هذا مع فصله من عمله .. وسهر
عينهم عليه حتى لا تتجدد الأحداث ولا يلهب المشاعر كما كانت ..

أما في الدور الثالث ..

فمن يطالع المدينة المنورة وهي لسان حال الامام وأبنائه ومجلته الأسبوعية يجد فيها أمر
الجهاد عند الامام منقطع النظير .. مما كان سبباً في غلق المجلة .. فأنشأ أخرى باسم آخر
وهي الفاتح والسعادة الأبدية وهكذا كلما أغلقوا واحدة فتحت أخرى وظل الأمر فيها
عداوة سافرة للاستعمار وجهاد بكل معانيه . ودفع بالأمة الإسلامية إلى الوحدة
والجماعة .. وإلى القيادة بالصبر والثابرة وعدم التنازع وتوحيد الكلمة ، وخطابات
موجهة للقيادة الإنجليزية والمستعمر في أى مكان . بأنه لا يهنا مسلم براحة وقدم
مستعمر على أرضه ، ومقالات الجهاد التي كان يلقيها الإمام في الدرس العام على
المسلمين في المساجد وغيرها جمعت في كتاب يجمع المتعة وروح الثورة والنفس العميق

الطويل ضد الاستعمار والمستعمرين والحقيقة أن استقصاء حياة الجهاد هذه في هذا الدور يخرجنا - لطوله - عن الحد الذي قصدناه والأمل الذي رجونا في هذا المختصر وقد حددنا هدفه في التربية لكننا سنقف على بعض ذلك على سبيل الإشارة من خلال المجلة الأسبوعية التي كان يصدرها الإمام ..

أولاً : كثيراً ما كانت تنشر المجلة أخبار المقابلات بين الإمام وبين زعماء الثورة في أي بلد إسلامي وكان بعضهم من أبنائه وتلاميذه .. وكانت المقابلات تتم في بيته العامر بالقاهرة أو يذهب أحياناً إليهم فيجالسهم ويعرض عليهم مآلبد منه في أماكنهم المختلفة والأخبار في التابلت تذكر مدعمة بالصور .

ثانياً : استضافته في بيته لأبناء البلاد الإسلامية - الزعماء وغير الزعماء - سواء كانوا فارين من الاحتلال - أو كانوا متعلمين ، وفي كلا الحالين كان يقابلهم مقابلة الوالد الرؤوف فيملاً القلب منهم سعادة بالدين وأنسا بأخبار سيد المرسلين ..

ومن أمثلة ذلك والأمثلة كثيرة نزول السيد أحمد الشريف السنوس ومن معه من الثوار في بيت الإمام وترحيب الامام به ونشر المجلة أخبار الثورة في ليبيا أولاً بأول^(١) .

ثالثاً : الرسائل المتبادله بين الإمام وبين زعماء البلاد الاسلامية وكذلك زعماء الأحزاب المختلفة الاسلامية - سنذكر بعضها إن شاء الله ..

رابعاً : المقالات التي كانت تصدر لجمع شمل الأمة ، والبغى على التفرقة تحت عنوان « الأحزاب أحزان » ومن هذا ماكان بشأن الخلافة الإسلامية وغيرها ..

ولهذه الأسباب جميعها ..

وبعد أن أقصاه الإنجليز عن السودان وأرادوا نفيه ثم حددوا إقامته لم يتركوه وشأنه مع تلاميذه وحاولوا معه بشتى الحيل أن يضموه إليهم أو يسكتوه عنهم دون جدوى فهاجموا بيته مرارا واعتقلوه مرتين في عام واحد مرة في ١١ ربيع الأول من عام ١٣٣٨ هـ ، والثانية في ١٧ رمضان من العام نفسه الموافق ١٩١٩م^(١) ورغم ذلك فلم تلتن قناته ، بل كان إذا رأى من الزعماء فتورا أو من الناس يأساً ، نادى فيهم بقلمه

(١) الامام أبو العزائم . ص ١٥٩

(٢) الامام محمد ماصى أبو العزائم ص ٨٤

ودروسه ، « إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون .. » وإنه يجب على المسلمين أن يأخذوا بالوسائل ، وبالأَسباب التي يرونها مشروعة ومؤدية إلى الهدف وإلى الغاية السامية ، فإذا لم يصلوا بعد أستنفاد الجهد ، فإنما هم عبيد مخلوقون ومربوبيون ، وإنه لم تبق أمامهم سوى القوة التي هي فوق الأسباب ، فليصبروا وليصابروا وليرابطوا ، . (١) .

بعض رسائله إلى الزعماء :

ومن خطاب له الى سعد زغلول جاء فيه :

« وإنك يا أخى قد أظهرك الله في وقت اقتضت أحداثه أن يكون كل مصرى جنديا يمد يده إلى قائد قوى الإيمان يأنس بما يستوحش منه أهل الأهواء ، صغرت في عينه المناصب وإن جلت ، وإحتقر الحمد على ما لم ينل ، وإنا لنعلم منك الإقدام في وقت الفزع ، والتمسك بمعالى الأمور والغيرة للحق . ونعلم أن الأمة تحققت ذلك عن يقين .. وانك يادولة-الرئيس تعتقد أن كل مصرى حريص على أن يعيش حرا مستقلا ، وقد ضحى في سبيل ذلك بالنفس والمال والولد ، وانما هي الأخلاق تجمع إذا أحسنت وتفرق إن ساءت ، وقد قال الله تعالى « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم .. » (٢) .

ومن خطاب له إلى الشيخ عبد العزيز جاويش بالأستانه - وقد تسلل زعماء الحزب الوطنى مع الإضطهاد إلى الأستانه ثم أوربا - وكان يعتبره الخليفة الحقيقى للزعيم مصطفى كامل يقول : « تعلم أيدك الله تعالى أنه سبحانه أقام الحججة على أنه معنا الآن بما أظهره من يقظة المجتمع الإسلامى ، وقيامه مطالبا بحقوقه المقدسة ، إلا من سلب الله منهم الإيمان من الخوارج على الله ورسوله ﷺ ، وعلى جماعة المسلمين وإمامهم ، وقد نصر الله عبده وأعز جنده وهزم الحلفاء وحده ..

وتلك الآيات تجعلنا نسارع إلى جمع شتات الأمة ، ولم شعثها ورجوعها إلى ماكان عليه سلفنا ، ميينين لها خداع العدو ، وعاقبة الركون إليه لتنوع أفكار الأمة ، وتنجذب جميعها إلى الحق ، قولاً ، وعملاً وحالاً ، فيعيد الله لنا ماكان لسلفنا من العزة والتمكين فى الأرض بالحق .. » (٣) .

(١) السابق ص ١٨٦ .

(٢) السابق ص ١٨٨ .

(٣) السابق ص ١٨٨

وحقيقة الجهاد عند الامام أنه لم يدخر وسعا في النصيحة العامة والخاصة بل والجهاد بنفسه وقلمه ودروسه وشروحه وندواته ولقاءاته وسفره هنا وهناك ورحلاته المتعددة يذكر المسلمين دين الله تعالى وإن المجد الاسلامي لن يعود إلا بالألفة والمحبة والاجتماع على كلمة سواء .. ولا أدل على ذلك .. من سفره الى الحجاز بقصد جمع المسلمين واجتماعهم ودعوتهم إلى مؤتمر الخلافة وقد نادى عاليا بان فاقد الشيء لا يعطية .. ومعنى ذلك أن الخلافة هذه أمر عظيم ومسئولية كبيرة لا يتحملها إلا الأمناء . وقد ظهرت تلك التربية الفكرية في نفوس بعض ابنائه وتلاميذه فكانوا أصدق قولا وأحسن عملا - وأسرع الناس إذا حدث ملمة فهم بالخير وللخير داعين ..

واستقصاء ذلك يطول من بطالع الكتب والمجلات والقصائد ويرى أثر ذلك باديا وأنه جهاد شاق وتام غير منقوص ..

وسبكون لنا بعد ذلك وقفه أخرى مع جهاده في لم شعث الأمة وأمر الخلافة ووسائله لسيل المجد الاسلامي .. الذي كان عليه سلفنا الصالح من السابقين الأولين رضى الله عنهم أجمعين ..

أناره العلمية :

ولقد تركت تلك الحياة العريضة المملوءة بالإخلاص المفعمة بالرضا جوانب علمية كثيرة .. وترائنا من الكتب والقصائد ، والمقالات المنشورة في مجلة السعادة الأبدية والمدنية المنورة ، رسائل ، ولقد طبع بعض التراث ولم يزل الكثير منه مبحثا بين تلاميذه .. وسنعرض لذلك عند التربية العقلية إن شاء الله تعالى ..

الفصل الثانى

التربية عند الامام

التربية

التربية هى تلك العملية التى يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الانسانية وبناء الانسان الكامل داخل الهيكل الأدبى بناء يبلغ الانسان معه غايته التى يريجوها من الكمال الانسانى ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية فلا يهمل فيها هذا الهيكل ذاته ويكون وفقا لمعايير تتفق عليها الجماعة التى يتم فى وسطها عملية البناء وحسب الأدوار التى يقوم بها الفرد المعد للبناء والمراد من التربية .

ولهذا كانت التربية عامة شاملة بخلاف التعليم أو الثقافة التى يقتصر دورها على بعض المراحل فى حياة الانسان أو على الأقل بعد النباء الأول وثمره من ثماره .

أما التربية فتبدأ مع الانسان حيث كان طفلا وتستمر مع وجوده فى الحياة سواء كان ذلك فى الأسرة الصغيرة التى تتلقى الانسان فى بدئه أو المدرسة وهى المجتمع الأكبر من الأسرة الأولى ثم مع جماعة الأقران والإخوان وفى دور العبادة ويتم ذلك فى أزمان مختلفة بوسائل معلومة تأتى مرحلة بعد أخرى ولكل مرحلة مظاهرها وعناصرها وفى المراحل كلها يكون المعلم والمرشد والمتعلم والمسترشد طرفا التربية ولكن ما بين التربية والتعليم لا يقتصر ذكره على كون الثانى ثمرة الأول ونتاجا لبنائه وإنما نقصد فى هذا تحديد مفهوم التربية من التعليم والثقافة وبيان ماهيتها ، وهل هى علمية أو صنعة مجردة وفن قائم بذاته بمعنى هل هى نظرية علمية أو قائمة بتطبيق عملى

نشأة التربية ومفهومها :

لا يحصى حين البحث عن النشأة من تحديد المفهوم العام للتربية ،
والعكس صحيح فكلاهما قد ارتبط في الواقع حتى أننا نقف من نشأتها على
كونها علمية أو فنية أو علمية تطبيقية وكذلك كونها صناعة أى فنا أو علما يحدد لنا
كيف بدأت ، وسارت في الأمم تخطو خطواتها الأولى على غير حسابان أو
رقيب . حتى صارت علما يفسح له المجال في المكان والزمان ويفرد له
الاساتذة والباحثون وله من الأسس والقواعد والبرامج والمناهج
مالغيره وسواه .. والحق أنهم حينما بحثوها انقسموا فيها على النحو
السابق ثلاثة أقسام ، فأما الذين جعلوها فنا وصناعة فمنهم : ابن عبدون
الذى قال :

« والتعلم صناعة تحتاج الى معرفة ودراية ولطف فانه كالرياضة للمهر
الصعب الذى يحتاج الى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل
التعليم »... (١) فهو يعنى أنه لا بد وأن يضاف الى العلم فى التربية ليتمكن
الأستاذ من دراسة نفسية الطالب ومجاراته على حسب عقله حتى يوصل
إليه ما يقصده وما يرفع من شأنه ...

ومنهم أيضا ابن خلدون الذى عقد فصلا خاصا جعل عنوانه (فصل فى أن
التعليم للعلم من جملة الصنائع) ومما قاله فى هذا الفصل عن صناعة التربية
وفيتها وأنها وسيلة للعلم : وذلك أن الخدق فى العلم والتفنن فيه
والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكه فى الاحاطة بمبادئه وقواعده
والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن
الخدق فى ذلك المتناول حاصلًا وهذه الملكة هى غير الفهم والوعى
ثم قال ويدل ذلك أيضا أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل
امام من الأئمة المشاهير اصطلاح فى التعليم يختص به شأن الصناع
كلها ، فدل ذلك على أن الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحدا
عند جميعهم .

(١) تاريخ التربية الاسلامية د / أحمد شلى ص ١٩٠ ط ١

ثم قال ... ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لاتدرك مثل أنهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشى والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها .. ويعجز أهل المغرب عن فهمها .

وحسن الملكات في تعليم الصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكرة بكثرة الملكات الحاصلة للنفس...^(١) وكونه فنا وصناعة على مارأينا يرجع نشأته بمثل ماترجع الفنون والصناعات وأنها بدأت مع الأنسان وتطوره أو رغبته في التطور مرتبطة في ذلك بعجلة الحياه التي تدفعها الحاجة إلى الأمام باستمرار وعلى هذا فتلك الصناعة قديمة النشأة تطورت مع تطور العمران ونمت منذ البداية لتبصر الإنسان بما له وما عليه وتحمله على الملائمة بين ماحوله وبين حاجياته وتدرجه . على الطرق المقبولة له في حياته

ثم نوع العبادة التي تطلب ويسعى الكل نحوها ، وبمعنى آخر تربيته من الناحية العملية تربية ضرورية للحصول على متطلبات حياته وكانت تلك التربية تتم بطريقة اندماج الانسان في البيئة التي يحياها والناس الذين يشاركونه حياته .. فهي أولا بدائية .. حتى قطعت البشرية شوطا نحو الحضارة والتقدم فزادت ونمت تبعا لذلك وأخذت شكلا أوسع صدى وأكثر شمولا حتى عرفت المدارس فأخذت طرق التدريس التربية مظهرا من مظاهرها الأولى مشتملة على التعليم ثم بعد ذلك اخترعت الكتابة فكانت الحلقة التالية للمدارس حيث استطاع الانسان أن يضيف الى التربية اضافات لا بأس بها . ثم أعقب تلك الحلقة أخرى وهي فن الطباعة فاتسعت دائرتها حتى جاء عصر الكترونيات حدث مايعبر عنه العلماء بالثورة التربوية لكن الى أى مدى يسير الأمر بالتربية والى أى منحى لانجد هناك من الباحثين خطا مستقيما يوفى بذلك اللهم الا حدسا وتخمينا لايرمى الى شيء ..

مدارس التربية :

وهذا تعددت مدارس التربية بحسب اختلافها في مناهج الإنسان ونظرتهم

(١) مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص ١١١٩ ، ١١٢٣ تحقيق د. على عبد الواحدواقي . ط ٢ سنة ١٩٦٧ .

إليه .. فالمدارس الفلسفية لما كان اهتمامها بعقل الإنسان دون سواه كانت التربية قاصرة على مناحى الفكر المختلفة ثم تعددت نفس المدارس وانقسمت بعضها على بعض فكانت المدرسة النفعية والواقعية والمثالية والوجودية وغير ذلك وكل مدرسة لها منهجها التربوي وأسلوبها في التربية ..

أما المدارس الإسلامية فقد نظرت للإنسان من خلال نظرة القرآن إليه باعتباره جسما ونفسا فكانت تلك المدارس لا بد وأن تشمل الجسم والنفس بالتربية فكان ذلك جديدا على التربية أو تجديدا فيها لكن خطواتهم سارت وئيدة ذلك لأنهم ارتبطوا في التربية بالمفهوم الاسلامى ولم يخرجوا عن الإطار الفلسفى .. أى قالب فلسفى بمفاهيم اسلامية ... فلم يمكنهم التخلص كلية من المفاهيم الفلسفية وان قصدوا التخلص أو قصدوا مسaire الوضع الاسلامى ومجاملة الفلسفة كلاهما كان له أثره الباقى فى الأغلال التى ربطت التربية بمفاهيم فلسفية .

وهناك من المدارس الإسلامية من تخلص من الفلسفة كلية واعتمد فى نصوصه على الكتاب والسنة وجعل تربيته مقتصرة على ما يستنبط من الأصل الإسلامى لاغير .. لكنها جاءت قاصرة على ناحية بعينها هادفة الى مرحلة من مراحل الانسان دون سواه - وقد استوفيت ذلك فى كتاب (التربية الاسلامية) ومدرستنا التى نحن بصدد البحث فيها عن التربية : مدرسة اسلامية خالصة فى قلبها وقالها مشتملة على الإنسان الخليفة بجميع نواحيه فجاء تعبيرها رقيقا ولفظها دقيقا وأسلوبها معبرا وفكرتها واضحة وفى العرض جلاء الحقيقة :

مفهوم التربية وضوابطها عند الامام

الإنسان فى نظر الامام هو ذلك النوع الوسط الجامع بين عوالم الملكوت الأعلى وبين أسفل سافلين باعتباره روحا وجسما وهو فى هذا يشير الى قول الله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فلهم أجر غير ممنون » (التين : ٤ - ٦)

ولما كانت جواذب كل جانب تميل به الى فطرته .. فجانبا الروح يميل الى الخير ويحب العلم وينعم بالطاعة ويسعد بالقربة ويطمئن بذكر الله تعالى ..
وجانب الجسم ينعم بما هو من جنسه من شهوة مطعم أو مشرب أو منكح ويجد في ذلك متعته ولذته ..

فكان التوفيق بين المطالب والتوسط بين الجواذب : هو نوع الكمال المنشود الموضوع لهذا الانسان .. لو اتبعه لبلغ الغاية هنا وهناك . فسعدت روحه ولم يحرم جسمه .. وذلك الكمال : في جملة الاسلام الذي وضعه الله تعالى كمالا للبشرية فقال عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) .

فدلالة الآية الشريفة واقع بأمرين :

أولا : قصر الكمال على الاسلام في رتبه السامية ودرجاته المتعاقبة فلا كمال في غيره .

ثانياً . إن الكمال واقع باستكمال رتب الاسلام الكلية والبلوغ فيه الرتب العلية وهذا مفهوم من قول الله تعالى : اليوم أكملت لكم .. فالأخذ ببعضه أخذ بدرجة في الكمال تجذبه بعد ذلك الى رتبه العلية ..

ولعل هذا هو سر حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان وفتح الباب أمام الترقى اليقيني بالكمال الإسلامى .. وأوضح مثال على ذلك ..

هو استغراق النبي ﷺ في طاعة ربه ومولاه ، قياما وقعودا فكرا وشهودا نوما وهجودا ، فكل حاله ﷺ طاعه ، فكلامه ﷺ ذكرا ، وصمته فكرا ونظره عبرا .. أى حال الطاعة غالب عليه وهذا غاية الكمال الإسلامى بل أول درجة الاسلام التى تنزل منها الدرجات ولعل هذا بعض مايفهم من آية أول المسلمين وان كان فى الآية جمل غيرها من التفسيرات « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » (الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣) .

فكونه ﷺ أول المسلمين من هذه الأمة .. يعنى أنه أول عابد . ومطيع بعده تندانى رتب الطاعة . فلا رقى بغير الاسلام وإنما الاسلام عبادة

وطاعة وقربة ومودة وتخلق بأخلاق النبي ﷺ .. والآخذ بكلها لاشك أفضل من الآخذ ببعضها بتداني المراتب ..

والإمام عندما يعرف التربية يضع تلك الموازين في اعتبار التلميذ والطالب حتى لا يضيع مع النسب إلى الاسلام حقيقة الإنتساب إليه وهي الطاعة .. والطاعة بصورتها المتفاوتة والمتعددة .. هي المعنى القريب الذى يشير إلى غاية المقصود من التكليف الشرعية التى كلف الله تعالى بها عباده .. ، ولهذا كله يقول في تعريف التربية والمفهوم العام عند إطلاقها بمعنى الطريق في الطاعة إلى الله تعالى :

« عمارة كل وقت من أوقات السالك فيما اقتضاه الوقت من اللازم الشرعى عمل قلبى فقط ، أو عمل بدنى فقط ، أو عمل مزدوج منهما ..

وبذلك ينتقل على معارج القرب في كل لحظة ونفس ، لأن الزمن هو المراحل التى ينتقل منها إلى حضرة الرب سبحانه وتعالى ، وإنما العمر هو المسافة بين العبد وربه »

إن إلى ربك الرجعى « (العلق : ٨) .

فكلما مضى من عمره نفس انتقل مرحلة إلى ربه .

وفي كل نفس له كمالات يتجمل بها إذا عمر الوقت بواجبه فإن أهمل خسر الوقت خسر الريح فيه ، وطولب بواجبه «(١) .

ومعارج القرب : هي تلك الكمالات التى يرتقى العبد فيها من درجة إلى أخرى حتى ينال الرضا في عمله هذا من الله تعالى وهي ما يعبر عنها بدرجات اليقين أن العبد غايته رضا ربه تعالى لأن رضوان الله عز وجل على عبده إنما هو في طاعته له .. فيقين العبد بذلك يدفعه الى مواصلة السير وشحن الهمة ودفع النوم عن نفس طالبه ..

ولابد - والأمر جد خطير - من وضع إطار عام لهذا العمل الذى يقوم به الطالب .. سواء كان من أعمال القلب أو البدن أوهما معا .. فإن

(١) معارج المقرين للإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم ص ٥٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م

هذا الإطار العام هو الذى يحفظ على الطالب وقته ، ويختصر عليه طريقة .
وهذا الإطار هو ما وضعه الإمام تحت عنوان المقدمات والضوابط .

المقدمات والضوابط

المقدمات :

العلم بالنفس والعلم بالله والعلم بأحكامه والعلم بأيامه ومن المقدمة الثانية اخلاص النية عند العمل وتأدية العمل على الوجه الشرعى ، ومنها قهر النفس عند الكسل على عمل الواجبات .^(١)

الضوابط

مسافة ما بينك وبين وصولك بمقصودك ، واتصالك بمحبوبك وفوزك بالفلاح ... هو مدة عمرك المعدودة لحظاته المحدودة مسافته التى لا تزيد ولا تنقص نفساً ولا أقل ولا اكثر والعمر قصير والمطلوب عظيم والأنفاس معارج فلو اضفت نفساً فى غير عمارته بما يجعله معراجاً لقربك وكنزاً محفوظاً لك وخيراً مدخراً لاجلك أعقبك بعداً عن الحق ونقصاً من الاجر وجهلاً بما لا بد من عمله . ولو انفقت النفيس فى رجوعه لتعمره لاستحال ذلك وبديهي أن تلك الأنفاس مرتبة خصوصياتها بعضاً على بعض كما يترتب البيت على اسه فرب ضياع وقت ادى الى رد اعمال ما بعده من الأوقات ، وأن مفاتيح كنوز الأرض ما فى الاوقات من الاسرار هى القلب والعينان ، واللسان والشم والذوق واللمس والبطن والفرج فاذا عطلت تلك المفاتيح بما يشغلها بما جبلت عليه النفس من الحظوظ والأهواء والطمع والأمل والغرور وزهرة الدنيا وحب العلو فيها ونسيان الآخرة وصرفت تلك المفاتيح فى فتح ابواب الشر بجلب حطام الدنيا والعمل لها والتجمل للخلق وحب الأثرة فتح المرید على نفسه ابواب الشر ، ووقف عن السير وبقيت المسافة بينه وبين الوصول كما كانت يوم ولادته وطويت سجلات عمره مسودة بالمساوىء والغرور ، وهو لجهله يظن انه يحسن عملاً حتى يتنزل به

(١) معارج المقربين ص ٦٠

داعى الرحيل فيقهر على مفارقة الدنيا آسفاً عليها حزينا على مفارق خائفا مما يلقاه ، وليس هذا من اهل طريق أولياء الله .

وولى الله من كان الله تعالى ورسوله ﷺ وأحكام الله وأيام الله غاية مقصوده ، وقصارى آماله وتحقق أن نوال ذلك لا يكون الا بالعلم والعمل فأقبل بكلية على صرف الأنفاس ، فيما يقربه الى الله ويبلغه رضوانه وينيله الفوز فيكون قائما لله تعالى بما أوجبه ، ويكون طالبا لله في كل أحواله وشعونه وأحوال نفسه وأحوال أهلية وحسن المعاملة ، ويكون ذلك كله عبادة لله ، يرتقى بها السالك درجات القرب ، ويفوز بطهور الحب ويتجمل بحلل القبول ، ومعاني الرضوان ويكون نومه وأكله وشربه وعمله في الدنيا قربات وطاعات مع أنه في عمل نفسه ولكن تعلق قلبه بربه جعل أنفاسه وحركاته عبادات .

فتنبه ايها المرید السالك ، وكن أبخل الناس بنفائس الأنفاس واكرم الناس بما عداها في سبيل عمارتها ، فتصل إلى ربك بمضى تلك المسافة فرحا بلقائه ، لاتخاف من عقوبته ، ولا تحزن على ماخلفته ورائك ، فتكون قد فزت بالنعيم المقيم . « (١)

الأصول التي تقوم عليها التربية :

يرى الإمام ان التربية تقوم على أصلين .

أولاهما : صفاء النفس والثاني إستقامة الطريق (٢)

فاما صفاء النفس فهو مبحث خاص نرده فيما بعد أن شاء الله تعالى وهو المقصود بالتزكية والمجاهدة ، وأما الإستقامة أو الطريق المستقيم فقد جمعها في خصائل تشمل على اثنتي عشرة خصلة هي جامعة لأوصاف الايمان : أول ذلك الشهادتان وهي الفطرة ، والصلوات الخمس وهي الملة ، ، والزكاة وهي الطهرة ، والصيام وهو الجنة ، والحج وهو الكمال ، والجهاد وهو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحجية ، والنهي عن المنكر وهو الوقاية ، والجماعة وهي الألفة ، والإستقامة وهي العصمة ، واكل الحلال وهو الورع ، والحب والبغض في الله وهو الوثيقة .. ويكون المرید على الطريقة المستقيمة ، ويحصل له المزيد من مشاهد التوحيد وتجدد

(١) معارج المقربين ص ٦١ .

(٢) معارج المقربين ص ٦٣ .

الاحوال الروحانية وتوالى الواردات الربانية ، ويكون ممن لهم الأمن وهم مهتدون اذا أعانه الله تعالى على تركية نفسه وعلى التمسك بسنة رسول الله ﷺ ، وبعض عليها بالنواجذ عملا بما أمر ﷺ ، والتباعد . عما نهى عنه ﷺ والتجمل بفضائل أهل العلم والمعرفة من السلف الصالح ولزوم مجالس العارفين ، وسماع اشاراتهم وتلقى أسرارهم .

وكل ذلك لايتحصل عليه المرید الا اذا ابتدأ بالبحث عن عالم عامل عارف متمكن منحه الله الفقه فى قلبه وجمل ظاهره بجمال حلال السنة ، حتى اذا وجده سعى اليه حيث كان وصحبه ، مسلماله نفسه ، ملاحظا لاعماله واقواله واحواله ، حتى يتلقى عنه السنة المحمدية عملا وحالا وتعلیما ، فاذا ظفر بالرجل واقتدى بهديه ورأى من نفسه الانقياد له ، صحت بدايته ، وحسنت نهايته ، وظفر بالطريق المستقیم القريب الذى يوصله الى الحق سبحانه ، وان لم يظفر بالرجل فعليه ان يبحث عن الآثار ، واعمال السلف ، وهدیهم من العلماء وفى الكتب ، ويعمل بها ويترك اعمال علماء الدنيا ، ويدوم بجنه عن الرجل المرشد الحقیقى ليكون له ثواب السعى فى طلب الله تعالى : (والله لا يضيع اجر المحسنين) ولا يخلو زمان من الازمنة من عارف بالله إما ظاهراً مشهوراً او باطناً مغموراً ، يعرفه من اختارهم الله واجتباهم ، لأن علوم القلوب واسرار الغيوب لاترسم فى كتاب ، ولكنها تلقى من فم العارف الحى للراغب المسلم ، وبهذا يكون المرید ناهجا على الصراط المستقیم سالكا مسالك الابرار ، مؤهلا لمشاهد المقربين الاخيار» (١) .

وبهذه الأصول قد وضع الإمام اطارا كاملا للتربية ووسائلهما .. فقد تكلم عن الطريقة المستقيمة وانها جامعة لاوصاف الإيمان ، وانها تقوم على أصلين وأساسين لا بد منهما : أولا : صفاء جوهر النفس ثانيا : استقامة الطريق والذى لا يستقیم الا بالمرشد وهما أى تركية النفس والمرشد هما الوسيلتان التى سنتناولهما ان شاء الله

(١) معارج المقربين ص ٨٩

الفصل الثالث

وسائل التربية

أقام الإمام وسيلة واحدة وجعلها الأساس الصالح للتربية وهي - الوسيلة وحدها - كفيلة ببقية الوسائل التربوية .. ففيها الموعظة ، وفيها الحكمة ومنها العادة بالصحبة والملازمة ، وتقوم بالعقوبة إن اقتضى الأمر .. فهي جامعة لبقية الوسائل ولذلك استغنى عن الفرع بأصله مادام قد انطوى فيه ، وتلك الوسيلة هي :

﴿ القدوة ﴾ ويعبر عنها الامام دائما بالمرشد فهو الذي يجلى للتلميذ والطالب طريقه ولما كانت الوسيلة واحدة ينطوى فيها بقية الوسائل .. لذلك شدد الإمام في أهليتها .. وشرط متابعتها ، ووضع لذلك القواعد وأرس الأسس ..

والقدوة في التربية لازم من لوازمها ..

الحاجة الى المرشد :

وانما تنبعث الحاجة الى المرشد من الحاجة للسير والسلوك أى من الحاجة للاعداد والتربية ، وان حاجة المرء في سيره والطالب في سلوكه تكون أشد من حاجته لطعامه وشرابه ، وان تلك الحاجة عند الامام أساسها أن الطالب المرید متبع لامبتدع ، وان طريق التربية انما هو .. اعتقاد حق واقتداء برسول الله ﷺ في أعماله وأحواله وأخلاقه ومعاملاته في صغير الامر وعظيمه ، وأن المنتسبين لهذا الإعداد وتلك التربية هم الذين اجتباهم الله فورثهم علوم أهل اليقين وفقههم في الدين ووقفهم للعمل بالعزائم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة ، فهم

أئمة الهدى ، وقادة المتقين .. طهرت قلوبهم عن أن تطمئن بغير الله ، وتزكت نفوسهم فلا تسكن الى غير الله .

... حل الله العقدة عن ألسنتهم ، فناطقوا بالحكمة وجعل لهم نورا في قلوبهم ففقهوا أسرار كتابه بسر الفطنة ... الى أن يكون فيهم القرآن امامهم والسنة حصونهم ... والخشية قوامهم والرغبة مرامهم ، هذه صفاتهم ولكن أين هم؟^(١) وبعد أن يذكر الامام صفة أهل الهدى وطريق اعدادهم يقول بعد ذلك « من هذا يظهر أنه يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول - أن يبدأ أولاً بالبحث عن الرجل الحي ، العالم بكتاب الله تعالى ، والعالم بسنة رسول الله ﷺ ، والعالم بتزكية النفوس ، وتخليصها من أمراضها ورعوناتها ، والعالم بالأخلاق الحميدة المتجمل بها ، الممنوح الحال الذي به يجرد النفوس من أحوال التوحيد العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقربين العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفى^(٢) .

« فعلى المرید الصادق أن يهتم قبل كل شيء بالبحث عن المرشد ، ليتلقى عنه العلم من عباداته وأعماله وأحواله وإشاراته ، فإن العلم اذا كان من القلوب وصل الى القلوب ، والحال اذا كان عن اليقين أنتج اليقين ، والعمل اذا كان عن اخلاص انطبع في الخيال والإشارة ان كانت من خزانة الغيوب ، استفادت بها القلوب^(٣) .

والامام اذا كان دافعا بالمرید الطالب الى أحضان المرشد فانه أضن به أن يضعه أو يلقيه بين من لا يعرفون الصراط السوى ومعارج القدس والنفس ، لذلك بين لنا من هو المرشد ، وما هو الرشاد والإرشاد .

وقد مر قوله في الرشاد والإرشاد حين الكلام عن الأسوة والقدوة فليرجع اليه . وأما المرشد : فهو الصورة التي تظهر معانيها على السالك

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١١٣

(٢) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١١٥ .

(٣) السابق ص ١٤٦ .

والطابع الذى ينقش فى نفس المرید ، وانما تظهر فى السالك أعماله وأحواله ، وتنتقش صفاته وأخلاقه دون أخلاق نفسه : لأن الأقوال أعراض تزول ، تؤثر على النفس عند سماعها ..

« فعلى المرشد اذن أن يجعل نفسه صورة كاملة مكتملة بجميع ما يحبه الله تعالى وأن يتحمل الشدائد والعناء ، باذلا نفسه وزمنه وماله لله سبحانه ورسوله ﷺ حتى تنتسخ من صورته صور كثيرة تمثل الكمالات الدينية والأخلاق المحمدية والأحوال النبوية .» (١) ذلك لأن المرشد فى نفسه متبع لرسول الله ﷺ والمرید متبع للنبي فيه .. لذلك وجب أن يكون المرشد مستكمل النفس توقيراً للنبي الذى قام عنه نائبا وداعيا وهاديا فالوراثة انما هى نيابة عن النبي ﷺ فى مقام الدعوة والتربية « ولما كانت الدعوة به : كان المرشد الكامل النائب عنه بعده ثابت القدم فى دائرة « محمد رسول الله والذين معه » مرفوع الرتبة بحكم الوراثة الكاملة ، فلا يكون المرشد كاملا الا بعد تحققه بهذه الوراثة ، وهذا هو سر الدعوة الى الله تعالى ، فافهم وتأمل .» (٢) .

معنى الاتباع :

قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) عندما تزول حجب الجهالة والظلمة عن الانسان الكلى الفارق : تفوح عليه نسمات روض التسليم فيسلم بالقول . وعند إسلامه يبشر بسلامته من المؤذيات الحسية دنيا وأخرى ومتى انشرح صدره للإسلام بين له نور اسم الرب المحيط بالنعيم المقيم ، والعقاب الشديد ، فيميل الى طلب الجمالات .. وينفر من غيرها فيكلف بالطاعات المؤدية الى طاعة أمر المعطى لهذا النعيم ، فتلوح له من سماع الأوامر أنوار محمدية تزين ظاهره بالأخلاق مع ملاحظة نسبة العمل اليه .

وفى هذا المقام يحصل له الاعتقاد الجازم وهو مقام الايمان . قال ﷺ (المؤمن له لمعات سرته حسنته وأساءته سيئته) (٣) وتبدو له لمعات البدر من

(٢) شراب الأرواح ص ١٦٤ ، ١٦٥

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني عن أنى موسى الأشعري لفظ « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ، وهو حديث حسن .

وراء حجاب النسبة فيفاض عليه نور من ظاهر تلك الطاعات والأخلاق يدفعه الى شم طيب باطنه ، فتنتعش روحه ، وتقوى في استحضار معاني تلك الأعمال وهيئة مبانيها ونسبتها اليه) حتى يذوق حلاوة انفراد الحق بالوحدانية فيتوب في كل يوم سبعين مرة من تلك النسبة الباطلة ، ويتشوق الى التعرف على مصدره ، حتى يتحقق بصحة الاتباع في الأعمال والأقوال ، فيظهر له بدر التشريع منيرا لأفق معانيه وتتفجر عين حقائق الشريعة من فؤاده ، فيغنى في شهود انعدامه بوجوده ويؤوب إليه ، متبعا لجميع ما كان عليه السيد الأكمل رسول الله ﷺ بحيث لا يلتفت قدر خردلة عن الإلتباع ، من قول وفعل وحال .

وبذلك لا يغيب عنه ﷺ طرفة عين ، بل يراه ساريا في كل الاشباح والأرواح ويلهمهم الصواب في جميع شئونهم ، وعندما يتحقق بمحبة الله تعالى ويسعد بحب الله له وهذا هو مقام الاحسان .

ولا يكون الإلتباع كاملا الا عند أهل هذا المقام ، وفي كل مقام من المقامات السابقة يكون صاحبه متبعا حقيقيا بحسب رتبته وان خالف من فوقه من أصحاب المقامات العالية ، ولا يمكن أن يخالفوا من قبلهم في قول أو عمل لأن الأحوال والأعمال في كل المراتب لا تتفاوت ، لكن الأحوال والاعتقادات هي التي تتفاوت فيلزم أن تسلم لأهلها ، حتى يذوق الانسان حلاوتها من مراتبها والله يختص برحمته من يشاء وهذا هو الاتباع الحقيقي . (١) .

فالبداية والنهاية بالنبي ومع النبي ﷺ ولا يتصور المسلم مرشدا الا اذا كان ممتلا من نور السيد الأكمل عليه الصلاة والسلام كما لا يتصور هداية من غير هدى ولذلك وجب الاتباع من المرشد للنبي كما وجب الاتباع من الطالب المرید والسالك المجتهد للمرشد الولي ، أى اقتداء بمن اقتدى واهتداء بمن اهتدى حتى يكون موصول الهداية بالنبي ﷺ غير مبتدع أو مخترع نعوذ بالله من شر الابتداع فهو قاطع حاجب .

(١) شراب الأرواح ص ١٧٦

شرط التلقى

وبعد أن بين الإمام حقيقة الرشد والإرشاد والإتباع وهو الإطار الذى يدور حوله التأهيل للإعداد بين شرط التلقى من المرشد المتبع لرسول الله ﷺ الذى أصبح وارثا باتباعه ورشاده واماما يقتدى به فى أى عصر من عصور الأمة فاذا ما ظهر للسالك الطالب وجب عليه أن يقتدى به ليتلقى عنه أسرار الدعوة ونور الاعداد فاذا وجد من تلقى عنه ولم يجده تلقى من تلقى ، ويكون متبعا ايضا ولذلك يقول :

« وانما امام المتقين . من ورثه الله علوم الرسالة والنبوة فقام داعيا للحق بالحق دالا على الحق بالحق ، مجددا للسنة ، مبينا لسيرة السلف الصالح ، هذا هو الامام المقتدى به ، واذا أظهره الله فى عصر من العصور ، وجب على كل طالب أن يقتدى به ، أو الاقتداء بمن اقتدى بمن اقتدى به ، أو الاقتداء بمن اقتدى به ، فان هؤلاء فى الجنة ماداموا محافظين على تلك الاسرار ومن تلقى تلك الاسرار عمن تلقى عمن تلقى عن الممنوح الذى جعل الله له نور الذى مات فأحياه الله قال الله تعالى « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (سورة النور : ٤٠)
وكما قال تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » - (سورة الانعام : ١٢٢) فهو على الصراط المستقيم .

وشرط التلقى : ان يكون المتلقى عنه قد تحصل على العلوم النافعة وفهم حكم الأحكام وعرف أمراض النفوس : فقام يرشد عباد الله بالقول والعمل والحال على طبق العلم والحفاظة على ما علمه من المرشد أو ما علمه ممن تلقى عنه من أبدال المرشد أو نوابه» (١)

تلاميذ القدوة (المرشد)

وانما يقوم بالتربية ... الولى المرشد والوارث للنبى ﷺ فان فقد المرشد او بعد لظروف ما - وجب ان يقوم مقامه فى الإعداد نواب

(١) مُذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٢٩ وما بعدها

المرشد الذين أعدهم لهذا ... وفي هذا يقول: « الدعوة إلى الله تعالى يلزم أن يقوم بها جماعة من أهل الفضل والعقل والعرفان الذين صحبوا المرشد صحبة حقيقية بصحة بداية وحسن نية وجمال مقصد ، وتلقوا عنه أسرار عقيدته ، وفهموا أنوار حاله ، وذاقوا حلاوة فهم علومه ومعاملاته القلبية والبدنية » وعباراته وإخلاقه حتى ظهرت لهم الدنيا منكشفة زوالها وبقاء تبعاتها ، من الأعمال السيئة أو نوال السعادة في الدار الآخرة ، بما من الله به عليه من حسن العقيدة وحسن العمل والخلق ، حتى زهدوا فيما فيها وأنكروا ما فيها مما هو فان ، انكارا حقيقيا ومالوا إلى الحق بكليتهم ، وتحققوا الخير ورأوه بعين اليقين ورأوا ما عليه الناس فأشفقوا عليهم ، فبدلوا وسعهم في إنقاذهم من الهاوية والغضب الإلهي برأفة وشفقة وحكمة ، وبيان آيات الله سبحانه وتعالى ونعمه على العباد وذكرى لمننه عليهم ليحنوا إلى الله سبحانه ، وينهجوا على نهج رسول الله ﷺ فإذا منح الله تعالى مريدا تلك المنن فهو القائم مقام المرشد في غيبته ، لأن الدعوة إلى الله سبحانه يلزم أن تكون عامة بين الناس للنفع العام ، فالمريد الذي آنس من نفسه بتلك الصفات وتحقق من نفسه أنها رغبة حقيقة في نجاة الإخوان من هاوية العذاب ، وبعد المقت وأنس من نفسه أنها تعينه على عظيم شدائد الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر على الفقر والجزع وأذية الخلق وإنكارهم ، والرضا بالقليل من الدنيا ، وبذل الكثير منها لجمع القلوب على الله تعالى . وعلم حفظ نفسه من الضرر بإقبال الناس ، وحسن ذكره بينهم ، وكثرة اتباعه وتحقق صدقه في حب الخير العام للمسلمين ، فعليه أن يقوم متجملا بكل التواضع والإنكسار والمسكنة والذل والخضوع والخشوع والخوف من الله تعالى ، متباعدة عن الجدل ، وفتح أبوابه بالوقوع فيما يخالف السنة المجمع عليها ، أو بعمل تعود العامة على غيره جهلا منهم بالسنة إلا بعد البيان ، وكشف حقيقة السنة بالمعروف واللطف ، ويتباعد عن فتح باب الجدل ، بكشف سر من أسرار الحقائق أمام من لم يسلم ويؤمن حقيقة فإن ذلك موجب لضياح السنة ، بل وربما أوقع الجدل في سخط الله ومقته ، وعليه أن يتباعد عن الوقوع في الفتنة والفتن العامة ، كجلوسه في خلوة مع النساء أو الصبيان أو دعوى أنه شريف مكى أو مدنى أو مادح ، أو يلبس ملابس الرياء كالمرقعات تكلفا ،

والعكوف في الخلوات ترغيباً للخلق وذم أهل الطريق، والمعتقدين عند العامة ويتباعد عن الطمع فيما في أيدي الناس، خصوصاً ما يحبونه من ملابس وسلاح ودواب وكراسي وزينة إلا إذا قربوه برغبة، مع إظهار عدم الرغبة فيه، ولما كان النائب عن المرشد صورة له ممثلة له فعليه أن يحافظ على الأكمل من العمل والخلق وحسن الهدى، ولو تكلفا رغبة في ميل القلوب إلى المرشد لينالوا السعادة فإن فضله وكأله يجعل القلوب تألف المرشد وإذا خالف ذلك كان قاطعاً من قطاع الطريق، وإن كان محفوظاً إلا إذا أحب ميل القلوب وستر فضائل المرشد فإن ذلك يكون قطيعة له وإن لم يضر غيره وعلى العموم فالمريد الأولى له أن يلازم على تطهير نفسه وتزكيتها، ويشتغل بالإقبال على الله تعالى ويجعل الدعوة إلى الله من أكمل عمله وأجملها ليقترّب بها إلى رسول الله ﷺ» (١).

ونحن في هذا الاتجاه لانجد ثغرة قد تركها أو تركتها المدرسة من غير أن تقوم على حراستها بإخلاص وصدق وعزيمة ومراعاة لله تعالى وأملاً في نيل رضوانه .

(١) معارج المقربين ص ٩٠ .

الباب الثاني

ميادين التربية

الفصل الأول

التربية النفسية

يرى الإمام في النفس رأى الحكماء فيعرض ذلك بأسلوب بديع وصنع عجيب حتى تكاد النفس أن تخرج من البيان إنسانا سويا له الإرادة والاختيار بل تعلق حتى ترتقى إلى الملكوت أو تدنو في مهبط أدران السفلى فالنفس « جوهرة سماوية روحانية نورانية اذا لم تتراكم عليها الجهالات ، ولم تدنسها الأعمال السيئة وحجبت بالاخلاق الرديئة بقيت محجوبة عن ادراك الحقائق الروحانية بعيدة عن الوصول الى الله تعالى وحجابها جهالتها جوهرها ... وأما اعوجاجها فهو من اجل عقائدها الفاسدة واخلاقها الرديئة ... فاذا شاهدت أنوار الملكوت وأسرار اللاهوت اشتاقت الى الجناب العلى ... والا بقيت كأنها عمياء تحرص على الدنيا ولا تميل الى الآخرة»^(١)

فالنفس هنا جوهر نفيس ان بقى على حاله ... وان تعرضت للجهالة والحجب فهى فى عمى وتيه .. فهى عالية فى الأصل والخلقة قابلة للتحمل كما تتحمل الجواهر أعراضها وتلك خطوة فى النفس بليغة وعالية .

تعريف النفس :

على هذا يرى الامام أن النفس ليست بجسم ولا بعرض بهذا لانتحيز ولا تغير فاصلها اللطافة والصفاء وتدرك جميع الأشياء بالسوية دون أن يلحقها

(١) معارج المقربين ص ٦٢ وما بعدها بتصرف يسير .

ملل أو كَلل وتلك حقيقة اللطيف وبعض خصائصه التي تجعل ثمة بون بينه وبين الأجسام التي من شأنها النصب والوصب والتعب والملل والكلل والجسم لا يعلم الا بالحواس وهى وان كان لها بعض العلم من الحواس الا أن لها البعض الآخر من نفسها مما تكاشف به من اسرار الملكوت والفقه في دين الله ... فهى الحكم وليس المحكوم عليه في الانسان وهى المراد عند اطلاق معنى الانسان فاذا قيل هو فليس رسمه وانما هو نفسه محل الخطاب ... ويجمع الامام ذلك في قوله عنها : « وقف العقل الكامل عن ادراك حقيقة النفس ورسمها بحد ، لأنها من أمر ربنا سبحانه وتعالى كما قال سبحانه وتعالى (قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ولا يزال الانسان من لدن نشأته الأولى والنفس محل بحثه ونظره ، حتى ان اكثر العلماء المتقدمين والحكماء المسلمين ، رأوا أنها ليست بجسم ولا بعرض لأنهم اثبتوا وجودها لما لها من الافعال الخاصة بها والاحوال القاصرة عليها ، التى تغاير بالمرّة أعمال الجسم وخواص الاعراض ، وتضاد ايضا اجزاء الجسم وخواصها ، حتى لا تشاركه في حال من الأحوال وتباين الاعراض وتضادها كلها غاية المباينة ، من حيث الاجسام اجسام ، والاعراض أعراض ، لأنه ثبت ان النفس لا تتميز ولا تتغير ، وتدرك جميع الاشياء بالسوية بدون أن يلحقها فتور أو ملل ولا كلل ، وشرح ذلك ان أى جسم من الاجسام له صورة فانه لا يمكن ان يقبل صورة أخرى من نوع صورته الأولى الا بعد ان يفارق صورته الأولى مفارقة حقيقة ، فانه لو فرضنا ان جسماما على شكل مربع أو مثلث و اردنا ان نجعله مستطيلا او اسطوانيا فلا يمكننا ذلك الا بعد مفارقة شكله الأول وكذلك اذا نقش في جسم ماصورة من الصور ، فلا يمكن ان ننقش فيه صورة أخرى الا بعد مفارقتها الأولى حتى لو بقى فيه بعض الصورة الأولى لما قبل الصورة الثانية على التمام ، بل تختلط به الصورتان ، والمثل بينه والحال أننا نجد أنفسنا نقبل صورة الأشياء كلها على تباينها وكثرة أنواعها من المحسوسات والمعقولات بغير نقص ولا تفاوت ولا مفارقة للأولى ، ولا تعاقب ، ولا زوال رسم ، بل تبقى الصورة الأولى تامة ، وتقبل الرسم الثانى ثم لاتزال تقبل الصورة المختلفة ، صورة بعد صورة دائما أبدا بدون أن تضعف أو تفتت في وقت من الأوقات عن قبول مايرد عنها من الصور الأخرى

وهذه خاصة من خواصها تباين بها الاجسام ، ولهذا الخاصة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض ، وتكمل بالعلوم والآداب ، ينتج عن هذه المقدمات أن النفس ليست جسما ، وتقرر أنها ليست عرضا ، لأن العرض لا يحمل عرضا ، ولأن العرض في نفسه محمول أبدا موجودا في غيره ، لاقوام له بذاته وجوهر النفس قابل أبدا حامل ماهو أتم وأكمل من حمل الاجسام للاعراض .

. لهذا يظهر ان النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ، ولا عرضا ، هذا الطول والعمق والعرض من المعاني التي صار الجسم بها جسما تحصل في قوة النفس الوهمية من غير ان تصير به طويلة عريضة عميقة ، وتزداد فيها تلك المعاني أبدا . فلا تغيرها عن حقيقتها ولا تتغير اذا تصورت كصفات الجسم من الألوان والطعوم والروائح ولا يمنع بعضها قبول بعض من أضدادها كما يمنع في الجسم ، وكذلك حالها في المعقولات بذلك يثبت أن طباعها وجوهرها يباين طباع الجسم والبدن ، وأنها أكرم جوهر مع شوقها الى معرفة الحقائق الكونية .

من هذا حكموا أن النفس ليست جسما ، ولا جزءا منه ولا عرضا ، والمراد بالنفس اذا أطلقت النفس الملكية التي تسمى بالناطقة – واذا أردت أن اعرفها فانما تعرف بما يقرب حقيقتها لاحقيقتها ، فأقول هي جوهرة سماوية روحانية نورانية من أمر ربنا سبحانه وتعالى ومما قلته فيها :

نفسى هي الكنز فيها سر معناه	بغير كيف وفيها نور مجلاه
جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها	وعلمها كشف حجبي فهم معناه
نفسى مثال تراءى لى به وضحت	آياته وبه أعطيت جدواه
نفسى له صورة تنبى مشاهدتها	إذا تحقق ان المبدع الله
جهلى بها اللبس والتشكيك اجمعه	وعلمها الكشف عن غيب واخفاه
جهلى بها التية بل والبعد عن نسب	بها يلوح جمال الوجه أجلاه
لو أنها أشرقت نفسا لعالمها	فكت طلاسمه ورقى لعلياه
يانفس ماانت نور أنت أم عرض	أم كوكب مشرق بضياء مبناه
وهل بك الجسم قد قامت معالنه	أوقمت فيه فهذا السر

حيرت أفكار أهل العقل لم يصلوا إلى يقين وفيك ضل أهده
العقل يعقل محسوسا ونسبته لا يدركن رتبتي والمنعم الله
سرى خفى عن الأبواب يحجبها عنه نظائره فيه وأشباه
من امر ربي ومن يطلبه يعرفه فيعرف الله رب العرش مولاه
ونفحه منه تجلى للمراد له فتشهد الوجه بالتنزين عيناه
من كان يعرفني بالفضل يعرفه أنا المثال له أفق لمآه» (١)

ولقد كشف الامام النقب عنها في هذه القصيدة حتى لم يبق بعد علمها جهل
او الجهل بها علم ، ولا تدخل في كفيها وكنها في مرتبة العقل المقيد بل هي
سر من أمر الله تعالى .. وهي باب المعرفة وسر الوصول .

قوى النفس

بين الامام ان النفس واحدة ولها ثلاث قوى ... فهي تمثل مملكة في
الجسم يقودها من غلب وقهر واما تلك القوى فهي ، قوى تسمى النفس
الملكية او الناطقة وقوة تسمى النفس البهيمية او الشهوانية ، وقوة
تسمى النفس السبعية او الغضبية والانسان لا يكون انسانا كاملا الا
بالنفس الملكية والنفس الملكية كما يوضحها الامام ويجلي خفاياها : « هي
النور المضى لافق الحواس العامة الذى به الادراك والفقه
والحركة ، في عوالم الملكوت ، وكشف اسرار التجليات وفهم غوامض
العلوم والتجمل بجميل الأخلاق وكال الصفات ، ومتى صار لها السلطان
على البدن كان الانسان ملكا واكمل لأن الملائكة تتولى صنعته ودفن
المضره عنه ، وتسخر له في مقعد صدق ، وتلك النفس الملكية هي المدبرة
لجميع النفوس ، وانما تكون قائمة بامور الجسم اذا قهرت بقية النفوس ،
وحبستها عن نزعاتها ورعونتها ، فان تسلطت عليها النفوس الأخرى كان لها تدبير
شئون تلك النفوس واعانتها على غاياتها وبذلك يكون الانسان حيوانا واقل
او شيطانا وأضر نعوذ بالله تعالى من تسجيل سوء القضاء على الانسان
والحكم عليه بسابقة سوء .

وتزكية النفس الملكية يكون بمعاونة من الله تعالى ، بصحبة مرشد عارف

(١) معارج القربين ص ٦٤ - ٦٦

بأمراض النفوس ورعوناتها ، حتى يكبح تلك النفوس ويخضعها للملكية ، فتسارع في رغباتها من الفكر والذكر والقربات والثقة بالله تعالى ، وحسن معاملة الخلق والانتهاج على منهج السيد صلوات الله عليه ، وبذلك تتجرد النفس الملكية للأعمال الخاصة بها من العروج الى فسيح الملكوت ، والشوق الى حضرة القدس ، فيكون البدن منجذبا معها خاضعا لها مطيعا لاوامرها ، حتى يرد موارد المقربين ، ويفوز بالقرب من رب العالمين ، والتشبه بالانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ويتأهل بالتخلق بأخلاق ربه ، وعندما يتفضل ذو الفضل العظيم فينفخ فيه من روحه الروح التي بها العقيدة الحقة ، والاخلاق الفاضلة ، والعبادات والمعاملات» (١) .

والنفس الغضبية (السبعية)

بها دفع المضار عن الإنسان وجلب المنافع فهي التي بها الشجاعة والاقدام والصبر وعلو النفس ، والحلم وتحمل الشدائد في اكتساب الخيرات والمبادرة الى عمل القربات ، اذا انقادت الى النفس الملكية وبها الهلع والجزع والطيش والتهور والتعدى والكبر والظلم والجور اذا اهملت عن التهذيب والتزكية . (٢) .

والنفس الشهوانية :

وبها تحصل العفة والحياء والزهد ، والورع والأمانة والخشية والرغبة والرغبة فالرجاء والطمع في الفضائل إذا تهذبت وانقادت للنفس الملكية ، ويحصل بها الفجور والفسوق والفحشاء والجبن والمذلة والتعلق والخداع والشرة والكيد والمكر وسوء الظن والتطرف في الشهوات اذا اهملت . فالنفس السبعية والشهوانية يتحدان على الشر فتكون منهما قوة شيطانية تجذب الانسان الى المساخط والمقت ، وينحط حتى يكون أضل من البهائم سبيلا ، وأضر من الشياطين عملا ، ويتحدان على الفضائل حتى يكونا قوة واحدة لمعاونة النفس الملكية ، فيتشبهان بها في اطاعتها وأوامر الله سبحانه وتعالى والعمل بما كلف ، فلا

(١) معارج المقربين ص ٨٠

(٢) معارج المقربين ص ٨١

يعصيان الله مأمروهما ويفعلان به حتى تتحد تلك النفوس كلها فتصير نفسا واحدة ، كما قيل لرجل : صف لنا بنى فلان : فقال : هم الف وفيهم حكيم ، فهم يصدرون عن راية فكانهم الف حكيم وهكذا تترق النفس الغضبية والشهوانية الى ان تكملا كإلا حقيقيا وتتحد بالنفس الناطقة ، فتتالان الفوز بالفردوس الاعلى فى النعيم المقيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا^(١) .

فضائل النفس ورذائلها

لما كانت القوى ثلاثة (الملكية ، والسبعية ، والبهيمية) وكل تنزع الى أصلها فاذا قويت أضرت بغيرها لذلك يرى ان التوسط خير فيقول « وقد تكون تلك القوى مع التوسط نفسا واحدة لأنها تنقاد للنفس الملكية فلا تختار الا ما يحبه الله تعالى ورسوله من العقائد والعبادات والاخلاق والمعاملات .. ويكفى المطلع ان للنفس قوى ثلاث متباينة يقوى بعضها ويضعف حسب المزاج او العادة او التزكية ، ولما كان لكل نفس كمال به يكون جمالها وتصدر عنها الفضائل كانت الفضائل ثلاثة ، لأن للنفس الملكية فضيلة وهى العلم والحكمة لأنها متى كانت حركة النفس الملكية من ذاتها معتدلة واشتاقت الى المعارف الصحيحة التى ليست بجهالات حدثت عنها فضيلتها التى هى فضيلة (العلم اللازم لها الحكمة) ومتى كانت حركة النفس الشهوانية معتدلة منقادة للنفس الملكية غير منمكة فى اتباع هواها حدثت عنها فضيلة (العفة ويلزمها السخاء) ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة مقتدية بالنفس الملكية غير متهيجة حدثت منها فضيلة (الحلم وتلزمها فضيلة الشجاعة) ومتى اعتدلت تلك النفوس وقويت النفس الملكية وظهرت الفضائل الثلاث ، لزمها فضيلة رابعة وهى اكمل الفضائل واعلاها وهى فضيلة (العدالة) فالفضائل اذن اربع : العلم ويتبعه الحكمة ، والعفة ويتبعها السخاء ، والحلم ويتبعه الشجاعة ، والعدالة وهى جماع الخير والفخر ، ويتوفرها فى الشخص السعادة ولا فخر بغيرها ومن افتخر بآبائه واجداده فذلك لان الله وهبهم تلك الكمالات ومن عليهم بهذه المحاسن ، ولا تكون تلك الفضائل فضائل حقيقية الا اذا ظهرت لوازمها فى غير الشخص المتجمل بها ، فان العلم لا يكون فضيلة للشخص الا اذا نفع غيره ، والشجاعة

(١) معارج المقربين ص ٨١

لا تكون كذلك الا اذا نفعت الغير بالذود عن الدين وعن الضعفاء وعن الأعراض واقامة الحدود ، والسخاء لا يكون فضيلة إلا اذا بذل المال في وجوهه الشرعية ، واعان به العلماء العاملين ، الاتقياء الصالحين لوجه الله العظيم ، وكل تلك الفضائل لا تسمى فضائل حقيقية الا اذا كان صاحبها من العارفين بالله تعالى العالمين بتصريف الأحوال والنيات» (١) .

وأما رذائل النفس :

« الرذائل اربع وهى اضداد الفضائل : الجهل ، والشرة ، والجبن ، والجور وتحت هذه الأجناس أنواع من الرذائل لا تحصى وهى امراض نفسانية تحدث منها علل كثيرة كالخوف والحزن والغضب لغير الله تعالى ، وأنواع العشق الشهوانى وضروب من سوء الخلق» (٢) .

امراض النفس وعلاجها :

وتلك الرذائل التى مر ذكرها هى سبب مرض النفس وفسادها .. وان كان الامام يرجع تلك الرذائل الى اصول ثلاثة يرى انها سبب فساد النفس .. وتلك الثلاث هى : **الكبر** : الذى اوقع ابليس فى القطعية واللعنه .

الطمع : الذى هو سبب المعصية لأيننا آدم حيث أهبط بسببه من الجنة لأنه طمع فى الخلود فى الجنة .

الحسد : الذى دعا قابيل أن يقتل أخاه هابيل ، حسدا له على النعمة عليه بأخت هابيل ، (٣) والطالب الراغب والمريد الصادق هو الذى يبتعد عن الرذائل التى تنتج المفسد والمضار للجسم والنفس .

وهذه الأمراض التى تنتجها المفسد وتقع بسبب الرذائل انما تقع لأمرين عظيمين .

الأمر الأول : اختلاف تركيب الجسم او فساد المزاج .

الأمر الثانى : مرضها من سوء الاعتقاد والعياذ بالله (٤) .

ويندرج تحت الأمرين كثير من الامراض والاعراض الناتجة عنه ، وطريق العلاج من

(٣) مذكره المرشدين والمسترشدين ص ٢٦٧

(٤) مذكره المرشدين ص ٢٥٤

(١) معارج المقربين ص ٦٨

(٢) معارج المقربين ص ٧١

الأمر الاول هو فن الطب والتربية السليمة والتنشئة الصحيحة للصغير ... اما الأمر الثاني : فيرى علاجه بأمرين .

الأمر الأول

ان يبادر من حصلت منه المخالفة – للمرشد ان كان مسترشدا – فيعرض عليه أمره ثم يعمل مايكلفه به مما هو شفاء لنفسه وتوبة من ذنبه غير خجل ولا متستر فان اصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم اذا نس او اخطأ دفع الأمر الى رسول الله ﷺ وقام فنجز مايكلفه به فمنهم من يقول (زينب يارسول الله) وغير ذلك مما قل وكثر فاذا خجل المخالف أو رأى ان رفع الأمر للمرشد فضيحة فقد تهاون بيوم القيامة وجهل الفضيحة فيه ودعا التساهل لصغير المخالفة الى الوقوع في كيدها حتى قد تبلغ به الحالة الى ان يترك عمل الواجبات .

واما اذا كان ليس له مرشد ، بان كان من العلماء او كان من القائمين بالدعوة الى الله فالواجب عليه اذا رأى نفسه أوقعته في الحماقة والغضب والعداوة بين الناس ان يبادر بأن يتعرض لسفيه أحق يسبه بين الناس وليتحمل ذلك ويفرح ليعالج نفسه ويرد عليها صحتها أو يبادر بأن يذل نفسه لمن كان يعظه ويقبل يده ويتوب مجاهداً نفسه بترك تلك الصفة القبيحة ، وان شعر من هذه الطريقة وتلك المبادرة بحب الشهرة والسمعة ، بادر بأن يعرض على نفسه مبدأها ونهايتها وحقارة الدنيا وزوالها .

الأمر الثاني :

وأكمل دواء النفس المبادرة بتلقى علوم الدين من أهل اليقين الذين يعلمون الناس الحكمة والموعظة الحسنة وبدعوتهم الى الله على بصيرة ويجعلون اساس دعوتهم كشف عناية الله بهم واظهار آياته في الآفاق وفي أنفسهم بطريق مقنع ويبينون اسرار الصورة الانسانية وما احتوت عليه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة وكيف كان مبدؤها من آيات القرآن بقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) وغيرها ، وتباعد في الدعوة عن غير ذكر عناية الله وابداعه للعالم كله ، الامر الجامع حتى اذا اطمانت القلوب دعاهم بعد ذلك الى التصديق بالآخرة وبين لهم حقارة الدنيا وزوالها ودعاهم الى معرفة أنفسهم وما به تكميلها وسعادتها .

وهذه هي الطريقة القرآنية في الدعوة وسبل رسل الله صلوات الله عليهم في الدلالة

والبيان ، فاقراً أيها الأخ البار كتاب الله متديراً وتأمل قصصه متفكراً واعتبر بتكرار أخبار الرسل صلوات الله عليهم وسلامه» (١) .

وإذا كنا قد وقفنا على النفس في معرفتها وقواها وكيفية حصول الفضائل أو الرذائل فقد علمنا بهذه النقاط الثلاثة مكنن الداء ، ولم يبق إلا وصف الدواء .. ودواء النفس بالمجاهدة حتى تتزكى وتزكيتها حتى تصفى والمجاهدة أو التزكية امر لا بد منه للنفس وقد علمنا قواها ولولا ذلك هلكت وأهلكت ..

التربية والمجاهدة :

التربية فى معناها نيل الكمالات الإنسانية ولا ينال الإنسان هذا إلا بالمجاهدة ولهذا يقول الامام تحت (المجاهدة لنيل الكمالات الانسانية)

إذا نظرت بفكرك فيما المعنا اليه من الآيات وتحققت بأنك لم تخلق عبثاً وأن أعمالك محصاة عليك وأن انفاسك معدودة عليك ولا ملجأ ولا منجى لك من الله الا اليه وتحققت الحكمة التى لاجلها خلقك الله وسخر لك عوامل ملكه وملكوته واعد لك مقعد صدقه لتكون فى جواره العلى قمت من نومة غفلتك ورقدة جهالتك وبذلت ما فى وسعك

وطاقتك لتنال الغاية القصوى التى ينالها عبد مسلم آمن بالله ورسوله وبالقرآن المجيد محتقراً زينة الحياة الدنيا وبهجتها فاراً من غروره سالكا طريق الاستقامة التى هى اقرب طريق فيه السلامة والنجاة وهو طريق أئمة الهدى ، الصراط المستقيم الذى بينه لنا رسول الله ﷺ ونتجنب الشرور العائقة لنا عن هذا الكمال ونفارق الخليل والصديق والصاحب اذا عاقنا عن هذا الكمال بل والزوجة والولد بل ونقلل الأكل والشرب والنوم ونهاجر من الأوطان ان كان فى ذلك نيل الكمالات النفسانية والفوز بالنعيم الأبدى وتجريد الفكر للنظر فى الآيات وكيف يرضى العاقل ان يبيع النعيم الأبدى بدفع ألم يزول فان كل مانراه فى هذه الدار وهو فى الحقيقة ليس بلذة وانما هو دفع ألم أسال الله سبحانه وتعالى أن يمنحنى وإخوانى المؤمنين جميعا الخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة إنه مجيب الدعاء حتى نسارع الى مقامات القرب والملك الكبير والنعيم الأبدى والسرور الحقيقى ونصل إلى قرة العين التى بشرنا الله تعالى بقوله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) من هذا تتحقق ان افضل الأعمال التى تصدر

(١) السابق ص ٢٦٢

عنك ايها الأخ وبها تتقرب الى ربك وتنال بها السعادة الحقيقية هي افعال الملكية الخاصة بها من الفكر من آلاء واستنباط ما به الخير من الافعال ومراقبة القريب والشوق الى جنباه العلى والاجتهاد فيما يقربك اليه من الاعمال بالبر والتقوى ثم تكون اعمال النفوس الأخرى مع الروية والافتداء بالنفس الملكية والعلم بأن تلك الاعمال موافقه للكتاب والسنة صادرة عن اخلاص وصدق وبذلك تكون ايها الأخ من اولياء الله تعالى المقربين ومن عباده المخلصين ومن العارفين الروحانيين الذين يشرهم تعالى بقوله :

(لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تخزنون) (١) .

فجهاد النفس وقوفها على الشرع الشريف موردا لها تنهل منه عذب الحياة فلا تميل لسواه ... وفي الشرع غذاؤها ودواؤها وشقاؤها وصلاح أمرها .. والله تعالى قد كلف العبد بما يصلح نفسه وفرض عليه ما يحفظ عليه صفاء الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها .. والأخذ بالتكاليف الشرعية من احلال الحلال وتحريم الحرام والبعد عن الشبهات هو حصن النفس من المرض أو التردى والهلاك .. وتلك هى الحلقة الأولى للجهاد ولا بد منه لتصح التربية .. وفي ذلك يقول الإمام نظما (٢) .

عزم المرید نجهاد النفس بالعمل	وهو حظوة فى روضة الامل
یجاهد النفس بالأعمال یحبسها	عن حظها خشية التغریر والزلل
یبيت یجهدا والخوف یوقعه	لحملها وهى فى سهو وفى ملل
حتى تلین على الأعمال راغمة	فتستلذ بعزم صادق وعلی
فتدخل الحصن حصن الحفظ عن زلل	وتنهجاً بالرضا فى أقرب السبل
یرى المرید بلین النفس أن له	نیل القبول بدا والنور منه جلی

ثم یقول :

هذا الجهاد حصون عن مخالفة
به تكون قريبا للوصول إلى
ویقول فى مكان آخر (٣) :

جاهد نفوسا فیک بالشرع الأمين	واحذر قوى الشيطان فى القلب مکین
غل وکید من حسود ماکر ..	ظلم العباد بنية فى کل حين

(١) البور المین ص ١٠

(٢) معارج المقربين ص ١١٤ (٣) دستور السالکین طریق رب العالمین ص ٣٦

هذا اللعين به الهلال فخله أسرع الى القرآن في الركن المكين
والنفس إن تدع مساسا فاحذرن إلا الحلال فإنه الماء المعين
جع اضعفها واحذرن من غيرها غصن الجفون وحاذرن فتك الكمين
إلى أن قال :

في الشيب جاهد كالشباب وحاذرن فالنفس شيطان يبید السالكين
وموضوع الجهاد طويل عند الامام متنوع أيضا بل ودرجات على حسب رتب
المجاهدين .. فقد يكون مجاهدا في أول الأمر فيحتاج إلى علاج معين .. أو يكون منتهيا
فيكون علاجه أكبر وهكذا .. وكل ذلك موفور عند الامام وأكثر ما نجده في مواجهه
وقصائد .. وسنذكر بعضها في فصول من التربية إن شاء الله .. وبقي الآن أن نذكر
التزكية في تنوع مراحلها كما هي عند الامام ووسائل التزكية المتعددة .

الامام أبو العزائم في تزكية النفس وأنواع التزكية : -

يرى الامام أن النفس قابلة للتنويع بمعنى أنها ما بين عليين وأسفل سافلين تكون
مراتبها .. فقد ترقى فتصير ملكا أو تتردى فتصير شيطانا . وترقيها أو تردبها إنما هو
بالتزكية فإن زكيتها صفت وأن تركنا التزكية مرضت والتزكية لاتقوم سهلة بغير خبير
بل كما يقول عنها : « ولتزكية النفس وسائل تخفى على كثير من أهل العلم ، وتدق على
أكثر العباد والزهاد الأعلى متمكن من معرفة النفوس وعلم تهذيبها ، ومعرفة معارج
رقيها ، ومدارج بعدها ومقادير الرياضات التي تستعمل لها ، حتى يصل الطبيب الى
ازالة الداء وتقوية المريض حتى يصل الى مقام كالات وجمالات عافيته . ولهذا كان الجهل
بطرق تزكية النفوس سببا في هلاك كثيرين ممن ترك الترقى على معارج القرب ، ولم
يتوسط في مجاهدة نفسه : بإفراط أو تفريط ، فان النفس إذا تزكت : صارت شمسا
تدور حولها العلويات والسفليات ونستمد منها الاضاءة ، واذا بقيت في سجن ظلمتها ،
وحضيض سفلها يأتيها وقت تتمنى فيه أن تكون ترابا »^(١)

ولما كان المجاهدون للنفس أنواعا متفرقة فهذا مبتدئ وهذا منتهى جاءت التزكية على
حسب الأنواع المختلفة شاملة إياهم فيما ذكر الامام من أنواع التزكية .

(١) شراب الأرواح : ص ١٢٩

والتزكية على التزكية قد جاء بعد أنواع ثلاثة - نوع للمجاهدة وقهر النفس على الطاعة على يد مرشد خبير عالم بالنفس وطرق تزكيتها ، فإذا جاهدت شاهدت والمشاهدة رتبة من رتب الكمال يعد بها صاحبها من الذين تزكت نفوسهم وتحصل بعد العلم والذوق وهى درجة معروفة .

أما السماع - فتلک حالة من التزكية تحصل بعد المشاهدة فان النفس ان تزكت والروح ان ترقى أحب أن تسمع القرآن يتلى أمامها وعلى سمعها فتقف على عباراته وتشاهد عند حكاياته ، وترى جنته عند عرضها والنار عند الإنذار بها أى أنه يرزق النور عند السماع وهى آية الرحمة فى « لعلکم ترحمون » .

والذى يعيننا فى هذا الباب إنما هو المجاهدة والتي هى قهر النفس على الطاعة حتى تتزكى وحبسها عن الشهوات حتى ترقى ومنعها ماتشتى حتى تعطى صاحبها مايشتهى من معرفة وأن المشاهدة والسماع باب آخر وليس هنا

وتكون النفس بتزكيتها قد نالت قسطها من الترية وبقي بعد ميدانها ميادين أخرى بعدها .

أنواع تزكية النفوس :-

النوع الأول : وبه تكمل تزكية النفس المشاهدة عن عين التوحيد وهذه شيمة المقربين فإن من ذاق حلاوة التوحيد في الأفعال والصفات والذات ، كان من الأفراد الكاملين ، وكان في أعلى مراتب المهذيين ، لأن اليقين الحق حفظ نفسه من هوى يعميها ، ومن طمع يذلها وأمل يقويها ، وعمل يغيرها . وذلك لمشاهدته أن الكل من الله وباللله وإلى الله ، وهذه المشاهدة مطالب بها كل مؤمن ، بحيث لا يكون مؤمناً كامل الايمان إلا بقدر كمالها ..

النوع الثاني : وهو أرق مراتب التهذيب ، وأهم هذا النوع :-

صحبة أهل النفوس الطيبة والمرشدين العلماء العاملين فقد يكتفى الرجل بمجلس معهم لتزكية نفسه .

النوع الثالث : وهو قمع النفس بزواج ترك المألوف ، وحبسها في سجن الزهد عن كل شهواتها وحظها والصبر على ذلك ، والميل بها الى الوعد والخشونة حتى تذلل وتدوم على ذلك حتى تعتاد وتألف . ومن هذا النوع : أن يترك بعض المباح له ، ويكثر من القربات والنوافل ..

وهذه الأنواع ينبغي أن يكون استعمالها على يد طبيب ماهر لأن لكل منها مضار نفسانية - ربما أوقعت السالك في مهاوى القطيعة » .

النوع الرابع : تزكية النفس على تزكيتها ، ليدوم أنسها بربها ، ولا يكون ذلك إلا لأهل الشوق الشديد والغرام المحرق ، فقد يفعل ذلك المرشد في تمكينه والمكاشف في شهوده والسالك في مسلكه والواصل في نهايته ، وهم درجات عند ربهم ^(١) وهذا يفتح مجال التزكية بل ويفسر الحديث السابق عن رسول الله ﷺ « وزكها أنت خير من زكاها » بأن التزكية لا تتوقف عند سالك أو واصل أو مبتدئ أو مرید بل تتناهى مع الدرجات وتكون حسب المقامات ولكل مقام نوع من التزكية غير أنها في حق الكمل من الرجال تزكية على تزكية وفي حق الأصاغر المذنبين تزكية من المعصية ، وإذا كانت التزكية من المعاصي : فهي مجاهدة بقهر النفس على الطاعة حتى تلين الجوارح والأعضاء لذكر الله . فهي لكل مبتدئ وداع ولا تزال معه ولو صار كبيراً وشيخاً داعياً .

(١) شراب الأرواح ص ١٣٠ وما بعدها بتصرف

الفصل الثانى التربية العقلية

رأينا عند الحديث عن التربية النفسية أن النفس تجمع فيها قوى ثلاثة : قوة الشهوة وهى تجرى مع الدم فى العروق ، قوة الغضب ومسكنها القلب ، والقوة الثالثة هى القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ .. وهى النفس الناطقة والأولى يطلق عليها النفس البهيمية أو الشهوانية والثانية وهى النفس الغضبية ، وإن القوى الثلاثة فى النفس عبارة عن فروع متعددة لأصل واحد .. ولكن منها ما يختص بالشهوة ومنها ما يختص بالغضب ومنها ما يختص بالتعقل والتدبر .

وليس الثلاثة بأشياء متباينة مستقلة .. وكما قلنا من قبل أيضا أنه فى إعتدال تلك الثلاث تأتى الفضائل التى هى العفة ، والشجاعة ، والحكمة والعلم ، ثم العدل من اعتدال القوى الثلاث مجتمعة ..

فالعقل وهو : تلك القوة التى يدرك بها الإنسان الأمور الكلية ، وهو عند الفارابى عبارة عن النفس الناطقة التى تميز الإنسان عن غيره من باقى الحيوان . ويرى كذلك أن العقل (النفس الناطقة) ينقسم إلى أربعة أقسام :

١ - عقل بالقوة ، ٢ - عقل بالفعل ، ٣ - عقل مستفاد ، ٤ - عقل عمل أو عقل مبرز

— والعقل بالقوة : هو عبارة عن هيئة فى الإنسان معدة لأن تقبل صور المعقولات ، هو عبارة عن الاستعداد الذى يكون عند الطفل قبل أن يعقل الأشياء ويدركها .

— والعقل بالفعل : هو الذى يكون للإنسان بعد أن يدرك صور المحسوسات بواسطة الحواس والقوة المتخيلة ، فإن العقل لا يصير عقلا بالفعل إلا إذا حصلت فيه صور المعقولات ، غير أن هذا الانتقال من القوة إلى الفعل لا يكون من عمل الإنسان ذاته وإنما يكون ذلك بواسطة العقل الفعال . الذى هو أعلى من العقل الإنسانى فى المرتبة .

— والعقل المستفاد : هو الحالة التي يستكمل فيها عقل الإنسان كماله ويصير عقلا بالفعل ومعقولا بالفعل ، ويصير المعقول منه هو الذى يعقل ويدرك ، وهذه حالة للعقل أرقى من الحالة السابقة ، والتي سميت العقل بالفعل .

— والعقل العملى : هو تلك القوة التي بها يستنبط الانسان مايجب عليه فعله من الأعمال الإنسانية .. «(١)

والثلاثة الأولى مراتب العقل الانسانى ..

فحالة الاستعداد عند الطفل — ولكن بغير إدراك — تسمى عقل بالقوة أو العقل الهيولى ثم يعتريه إدراك بصور المحسوسات بواسطة الحواس فهو العقل بالعقل أو العقل بالملكة .. فإذا استكمل كمال العقل صار عقلا ومعقولا ويصير المعقول منه هو الذى يعقل ويدرك . وهى أرقى من السابقة والمؤثر فى العقل فيخرجه من القوة إلى الفعل حتى يستكمل إدراكه .. العقل الفعال ..

هذه مراتب الادراكات الكلية فى الانسان كما يصوره الفلاسفة من المسلمين كالكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم ..

وتحصل المعارف عندهم بالعقل (النفس الناطقة) والخيال (القوة التخيلية) . الحس (الحاسة) . وكيفية ذلك :

« فإنه لا تكاد الحواس تقع على المحسّات حتى تنتزع منها صوراً صالحة للتعقل . ثم تنتقل هذه الصور من درجة الحس الشخصى إلى درجة الحس المشترك ، ثم إلى درجة الخيال الذى يحفظ هذه الصور التى لا تزال عالقة بالمادة ، حتى تأتى القوة الناطقة فتخلص هذه الصور من المادة . وترتب هذه الصور الجزئية الحاصلة فى العقل ، وتقارنها بعضها ببعض كى تكون من ذلك المعانى الذهنية والأمور الكلية ..

على أن المعرفة الحققة هى ما كانت من طريق النفس الناطقة (العقل) وهى المعرفة المتعلقة بالأمور الكلية والمهايا العامة .. »

(١) عيون المسائل للفارابى ضمن المجموع للفارابى طبع الخانجى ص ٧٤ . الفلسفة الإسلامية د . عوض الله حجازى ص ٢٢٨ .

(١) السابق ٢٣١ .

وهذه لا ينالها الانسان باجتهاده بل تتجلى عليه في صورة هبة من العالم الأعلى .. وهم يقصدون بالعالم الأعلى العقل الفعال ..

لكنهم متفقون على قصور العقل عن المعرفة الحققة باجتهاده .. وهو محتاج لتحصيلها إلى فيض العالم الأعلى ..

أما الشيخ الرئيس فيرى وسائل المعرفة في العقل ، والحواس الظاهرة ، الحواس الباطنة (الحس المشترك والخيال ، الواهمة ، المنكرة ، الحافظة والذاكرة) وأيضا يقول بقصور العقل الانساني وحاجته إلى العقل الفعال : « والعقل يكون في أول أمره عقلا بالقوة ثم يصير عقلا بالفعل وذلك بما يصل إليه من إحساسات تؤديها إليه الحواس الظاهرة والباطنة فالعقل يخرج إذن بالاستعمال من القوة إلى الفعل وهذا يحدث بواسطة الادراك ولكن بهدى وإنارة من أعلى من واهب الصور وهو العقل الفعال الذي يفيض الصور على العقل الانساني » .^(١)

فهم متفقون إذن على قصور العقل الانساني في أطوار إدراكه الثلاثة وأنه لا ينال المعرفة الحققة إلا من العقل الفعال (واهب الصور عند الشيخ الرئيس) ... ويقول ابن سينا أيضا إن المعارف ... تنقسم إلى :

الأول - معرفة المبادئ الأولية التي هي مثل : الكل أعظم من الجزء والواحد نصف الاثنين
الثاني - إدراك المجردات والكلييات العامة . وهذا النوع يحتاج الى مجهود اكبر من سابقه ..

الثالث - معرفة الأمور الغيبية :

فالأول والثاني طريقة العقل والحس ..

والثالث : طريقة الوحي والإلهام . «^(٢)

فما رأى مدرستنا في تلك الحياة العقلية ؟ وسعيها الفكري ؟ وبمعنى آخر هل يرى الإمام قصور العقل .. ؟ ومارأيه في العقل الفعال ؟ ومامعنى التربية العقلية عنده ؟
أما عن قصور العقل : فالإمام يرى أن العقل قاصر عن إدراك الغيبيات ولكنه يستطيع

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ص ١٧٨ وما بعدها وكتاب النجاة لابن سينا ص ١٦٥ وما بعدها ، ومجموعة الرسائل ص ٨٠ . والسابق ص ٢٥٥ .

(٢) السابق ص ٢٥٥

أن يعقل الكون بما ظهر فيه وأن يستدل بالآلاء الظاهرة على قدرة الحق الباهرة فيقول
نظماً^(١) :

يعقل العقل التصور والمباني يفهم العقل المكون والمعاني
فوقه غيب على غامض .. أعجز الأرواح في حال التدانى
غيب أقدار وغيب المقتضى غيب أوصافى ترى عند التهانى
إلى أن قال :

سلمن علم الألوهة واشهدن ظاهر الآيات فى هذا الكيان
أعجزت قدرته كل النهى ردت القوة عقلا فى الرهان
تابعن صفوته سلم له فهو مشكاة النهى عقد الجمان
فالإمام بهذا قد وضع طريق العقل فى تصورهِ وإدراكته .. ولا ينبغي له أن يعجز
ذلك . وأن هذا الطريق العقلى : هو فى مباني الكون وإدراك المعانى أماماً دائرة
الكون الظاهر فمحظوراً عليه .. ومن ذلك الغيب بأنواعه سواء كان غيب أقدار أو غيب
الأسماء والصفات ..

ولا يرى الإمام محرّكاً للعقل أو أمراً له أو ممدداً مثل الشرع الشريف ولهذا يقول :
« والناس قسمان : متبع ومخالف . »

فالمتبع : هو الذى يتيقن كمال اليقين أن جميع ما جاء به هذا الرسول هو عين الحق
الكامل ، بحيث يلزمه أن يثق الوثوق الذى لا يشوبه زلزلة ولا وهم ولا شك ، بجميع
ما شهدته عليه من الأخلاق والإعتقادات ، من التسليم المطلق ، سواء قبل عقله ذلك أو لم
يقبله ، فلا يتخيل له أن أمراً مما شهدته عليه : يحتاج إلى برهان أو آية لأنه إنما اتبعه لعلمه
أنه كامل ، يريد أن يكمل بكمالاته ،

وإذا رأيت أن أمراً من الذى هو عليه يحتاج فيه إلى برهان بحسب عقلك فكأنك
عارضته فى كلامه أو توهمت تقصيره وهو شك فى تصديقه ، والرسول عليهم الصلاة
والسلام أتوا بأمرين عظيمين :

الأول : تطهير أخلاق الانسان من الصفات الإبليسية التى سنتكلم عليها فى أساس
الأخلاق ومن الصفات البهيمية لينتظم العمران وتحسن حالة المعيشة ، وتصفوا الطباع

(١) عقيدة النجاة : ٤٥

البشرية وتستعد لتلقى الأسرار الإلهية . ومن قرأ القرآن الشريف بنور التسليم والإستمداد من حضرة رسول الله ﷺ : ذاق حلاوة مشرب كل الرسل ، عليهم الصلاة والسلام .

الأمر الثاني : العلم بما يجب عليه اعتقاده بالنسبة لذات الله تعالى وأسمائه وصفاته – سبحانه – مما اختص الله سبحانه وتعالى بها رسله – عليهم الصلاة والسلام – من المقامات في الدنيا والآخرة ، وما اختص به سبحانه أوليائه في الدنيا والآخرة . وكل هذا أمر .

وإن أمكن للعقل قبوله بالبرهان دون تصديق وتسليم ، وهو ظلمة تحجب المصدق بالبرهان عن ذوق حقائق – : فليس للعقل حكم عليها ، إنما تذاق وتشهد بمحض الفضل من الحق ، وهو سبحانه غنى عن الخلق ، وقد تفضل عليهم فلم يوجههم الى البحث بالبرهان والعقل بل أرسل لهم الرسل مؤيدين بالآيات ليبينوا للناس ما يختلفون فيه ، وأوضح لهم ما يجب عليهم اعتقاده بالنسبة لحضرة العلية سبحانه . مع إلزامهم بأنهم يسمعون ويطيعون ، وحظر عليهم البحث أو التوهم فيما جاء به هذا الرسول . أو التأويل .

فإنه سبحانه وتعالى أعلم بقواهم العقلية منهم ، ولم يرد تعجيزهم ، لأنه لا حاجة له سبحانه في مضرتهم ، ولا منفعتهم ، بل كلهم متهورون ، بكبرياء عظمتة . فقراء إليه سبحانه وتعالى . فكان كل ذلك بمحض تفضلاته ، وعموم احسانه ، تنزلا منه ، واردة الخير لهم .

فالواجب عليك أيها المسلم : الاعتقاد بما جاء به سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ بعمله وقوله . مع التسليم الكامل والانقياد والرضوخ لما أمر به ، دون تخيل ولا توهم ^(١) .

فاتباع العقل للشرع الشريف والانقياد له والتسليم له في كل أوامره ونواهيه واجب لأبد منه .

وقد لا يستطيع العقل أن يجيب النفس عن تساؤلات تلوح لها في أفق الفكر الأعلى وحينئذ عليه أن يتوقف عن منطقة الغيب وأن يحجم عن دائرته حتى يمده الله تعالى بالحجة التي تكشف عنه ظلمة الحجب واللبس القاتل .

(١) شراب الأرواح ص ١٧٩ .

ويعالج الامام أمر العقل بأسلوب بديع وحوار عجيب عن طريق المحاورة الدائرة بين أعضاء النفس في الإنسان بعد أن يجرد كل عضو ويوقفه أمام خصمه فتلوح الحقائق وتطهر الرقائق ويبدو الأسلوب جذاباً إلى أقصى ما يكون .. ومن خلال كلام العضو عن أخيه أو ضده تظهر حقائق العضو ومكانته .. فمثلاً يتوجه الخيال والوهم الى العقل في أسلوب المحاورة والمسامرة :

« - أيها العقل الذى يعقل الإنسان عن الدنيا ويمنعه عن الخطايا .. ثم يقولان - أيها العقل أنت البرزخ بيننا وبين النفس وأنت الحاكم المسيطر على الحس .. وأنت ملجأ المظلومين بعد الله تعالى ، وبك يعذب من كفر ويثيب من والى .. » (١)

وبنفس الأسلوب يقول الفكر في العقل :

لا ترتقى أم تكون نفوسهم
حتى يكون العقل سلطانا على
كم أهلكت تلك النفوس ممالكا
ساسوا وسادوا ، دمرتهم أنفس
مولاي أدرك بالعدالة وأشفين
حتى تسود سيادة عقلية
أيتها العقل ، أنت لطالب الخير الإمام ، وبالإقتداء بك تبلغ الأمم أرقى مقام ، وأنت المصباح والشريعة زيتك ، والأساس والدين بيتك ، بل تطهر أنوار الشرائع فيعمل بها ، وتلوح حكمتها فيرغب فيها . ولولاك ما اتضحت شريعة لعامل ولا نيلت بغية لأمل . (٢)

فالعقل في المملكة الإنسانية وزير الملك (النفس الناطقة الروحانية) فهو الحاكم على المحسوسات والمسيطر على الحس . وهو ميزان التكاليف وأداة التعريف ، إذا ملك البدن سار الكل في طاعة وعز وقناعه .. وان ساسه البدن هلكت المملكة ، ودمرت كل شيء .. فهو قائد لامقود وفوقه الروح المصون التي أخبر الله عنها أنها من أمر الله

(١) محكمة الصلح الكبرى ص ٢٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ م

(٢) السابق ص ٣٥ .

(النفس الناطقة الملكية) . وهذا مايعنيه بقوله . « أنت لطالب الخير الإمام . وبالإقتداء بك تبلغ الأمم أرقى مقام » .

ويأتى موقف العقل من الشريعة فى قوله :

أنت المصباح والشريعة زيتك
والاساس والدين بيتك ..

ويعنى هذا ان المصباح لا يضىء من غير زيت وأن الزيت لا يظهر بغير مصباح .. فبالشرع يكون الإمداد ، وبالفعل تقع التكاليف فى خير الإيجاد .. كما أن الدين والشرع بيت جميل لكنه يبنى على أساس وجود العقل .. لأنه إذ أخذ ما وهب أسقط واوجب ..

وتكون الصورة بهذا العرض تم عرضها بوضوح .. فالعقل من غير الشرع لا يضىء والشرع اساس تكاليفه وواجباته وجود العقل ..

والشرع الشريف وضع إلهى يسوق العقل إلى مرضاة الله تعالى .. ولكى نقف منه على حقيقته لا بد من ادراك صورته .. وهذا هو المقصود بالعلم ..

وتلك هى التربية العقلية إمداد العقل بالعلم حتى يقف فى مصاف العلماء الراسخين فى العلم .

منزلة العلم :

يرى الإمام وجوب العلم كما يجب الإيمان ويجمع بينهما فى الوجوب لما بينهما من الكمال .

حقا إن العلم فى تلك المدرسة تصفو موارده صفاء يجعل الوارد تتملكه الحيرة يأخذ هذا أم ذلك أم ذلك أم جميعه فالكل تهفوا اليه النفس الصافية ... ولكنه لكثرتة وتنوعه ، وعمقه وجمعه ليسر مع العمق وتتعدد مراتبه . بحيث يلين اللفظ حتى يأخذ بالنفس المريضة إلى أجواء الصحة والعافية ويملاً القلب اعتقادا بيعث صاحبه على الاطمئنان بذكر المولى تعالى بما يحمله اللفظ من المعانى أما عن حديث الأرواح وسبحها فى فيضه الطامى فحدث عنه ولا حرج ، وهذا يدل بحق على منزلة العلم فى تلك المدرسة وما أولاه الإمام إياه .

يقول الإمام في منزلة العلم :

« أول واجب على المسلم فهو تحصيل ما به كمال التصديق الذي هو الإيمان .. لأن الإيمان هو التصديق لرسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى وبينه ﷺ بالقول والعمل والحال حتى وضحت العقيدة الحقة ، والعبادة الخالصة ، والمعاملة الجميلة والأخلاق الفاضلة .. لكل مسلم مهما كان عقله ، لأن الله تعالى طالب العامة بالتصديق فقط وأثنى عليهم إذا هم تشبهوا برسول الله ﷺ ، عبادة ومعاملة وأخلاقا ، وسلموا له تسليما يقتضى كمال التصديق والإيمان قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣) (١) .

الواجب الثاني على المسلم :

تحصيل ما به اليقين ، بطلب العلم النافع الذي حث الله تعالى على طلبه ، وفرضه (١) ﷺ على كل مسلم ومسلمة (٢) .
العلوم النافعة

والخبر بالتربية العليم بها لا يفرق الطالب في أطراف العلم المتعددة ويبعد به عن أصوله بما يكلفه من ملحه ، حتى لا يختلط على الطالب سيره في طريق التربية ، ويأتي الامر عكس المراد ..

لكنه يرى للطالب أن يأخذ أولا من العلوم ماتصحح به نفسه ويجمع بها أمره ويستقيم بها حاله ... فإن أنس من نفسه صفاء ومن قلبه اطمئنانا زاد فيها بقدر بشرط أن يصحب العلم عملا ، وإن يرزق العالم خشية .. حتى تتحقق المنفعة للطالب في أدواره المتعددة .

فإن المنفعة في العلم عنده للطالب متفاوتة لذلك يقول : « المنفعة تتفاوت بحسب مراتب الناس ومقامات اليقين عندهم فمنهم من قصد به يقينه عن علم كالات المؤهل لها ، ونوال الخير في آجله ولم تشرق عليه أنوار الفضائل النفسانية فتجذبه إلى جانب الحق فانغمس في قرارة الحظوظ والأطماع ودعاه الجهل بالعاقبة إلى أن السعادة والمثمة

(١) الحديث بلفظ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » صحيح سنن ابن ماجه - ناصر الألباني باب من بلغ علما .

ج ١ ص ٤٤ . توزيع المكتب الإسلامي . بيروت .

(٢) دستور آداب السلوك ص ١٢ .

محسورتان في نوال آماله وملاذه في تلك العاجلة ، واستخدم في لذاته جميع قواه -
ظاهرا وباطنا - وتلذذ بنواله أغراضه .

ومنهم من مشى في الأرض مرحا جاهلا بنفسه وأهله متناسبا ما أنذر به وما بشر به تاركا
وراء ظهره ما علمه من مبادئ الدين غير مكترث بالحدود. والعقوبات مادام متلذذا
بخواسه سواء وافق الدين أو خالفه وسواء كان عمله فضيلة أو رذيلة ويسرع الى تعليم
ما به ينال أماله من العلوم المعينة له على مشتهاه مما ينفع في الدنيا كالصناعة والفنون أو
العلوم التي ترفع في الدنيا كعلم الدين الذي يؤهل للسيادة والرئاسة وعلم الكلام الذي
يجعله مهيبا يقتدى به بين الناس محترما عند الامراء مجالسا للخاصة وهو بجمله يظن أنه
أحسن عملا اذا بلغ مراده ، ونال شهوته ولذته ويتحقق أنه في سعادة وعلو وشرف
وغنى وعز لما يراه وما يحسه ويتلذذ به . وليست هذه العلوم بنافعة الا لمن جعلها درعا
يقى به الدين ويحفظ به نفسه من الوقوع في المضار من الجوع أو من البدع المضرة أو
مضرة الناس بجهل ما لا يدلمهم منه في المجتمع الانساني قربة الى الله ونفعا عاما لجماعة
المسلمين » .

« فاذا تحصن العالم بتلك العلوم باخلاص النية في تعلمها وصدق العزيمة في العمل بها
كانت له سلما يعرج عليه الى الافق المبين » .

« واذا غلبه حظه كانت له مدارج يهوى بها في سجين نعوذ بالله من الشح المطاع
والهوى المتبع والإعجاب بالرأى » .

« أما العلوم النافعة فهي علم يقوى به يقينك وعلم تحسن به عبادة ربك وعلم تحسن
به معاملة اخوانك المؤمنين وعلم تحسن به معيشتك وأهلك وعلم يدوم لك به المزيد من
الفضل الالهي وعلم تعلم به من أنت وماهى الآيات والحكم المودعة فيك وفي السموات
والارض وفي الآفاق وتعلم به نسب مراتب الوجود ، حتى تتحقق بمعرفة ربك وعندها
تكون نافعا لنفسك ولغيرك ، عبدا لله تعالى حرا بالنسبة لغيره تملك نفسك وغيرك
ويسخر لك جميع الوجود لأنك عبداً لله الذي خلق كل شيء وبيده مقاليد كل شيء » .

« ولكل علم من هذه العلوم مبادئ ومسائل يتلقاها المرید ويعمل بها فيعلمه الله
تعالى العلوم التي لا يمكن تعلمها الا بالله عز وجل وهى علوم اليقين والتوحيد والتوكل
والتفويض والصدق والإخلاص وعلوم المحبة والرغبة والرغبة والخشية والخوف والطمع

فيما عند الله ، والزهد عما في يد البشر وعلوم الإيمان والإحسان والإيقان وعلوم الغيب بانكشاف معاني الصفات بمقتضى التجليات وظهور خفى الآيات في مرأى المكونات .
« وعلوم لاينغى للعارف أن يلمح اليها بإشارة من أسرار الأحدية ورموز الهوية وكنوز المجالى الذاتية وغيب الخفا وخفى الاخفى مما لايعلم علمه الا الله » .
« ولو جازت الإشارة اليه شرعا لضافت العبارة عنه وعجزت النفوس الزكية عن فهمه وأنكرته العقول على أهله » .

« ولكن التسليم مفتاح لتلك الكنوز العالية ، والمجاهدة ، معراج تلك المراتب العلية وانما هى سوابق الاحسان ومنن المنعم المنان (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) » .

« نسأل الله تعالى أن يعلمنا العلوم النافعة وأن يعيذنا مما يشغلنا عن بلوغ الخطوة الربانية فى رياض الانس بالحق وأهلنا وأولادنا والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . (١) .

وقد بين الامام فى هذه السطور السابقة العلوم النافعة بما يريح النفس ، ويقنع الخاطر ويطمئن به القلب التقى الصفى النقى إذ جعل من تلك العلوم النافعة فى

« علم يقوى به يقينك »

« علم تحسن به عبادتك »

« وعلم تحسن به معاملتك »

« وعلم تحسن به معيشتك »

« وعلم يدوم لك به المزيد من الفضل الإلهى »

« وعلم تعلم به من أنت وماهى الايات والحكم فيك وفى السموات والارض وفى

الافاق » ونعلم به نسب مراتب الوجود حتى تتحقق بمعرفة ربك .»

وهذه العلوم يتلقاها المريد السالك والطالب الصادق من المرشد والامام ويعمل بها على مسرح النفس ويطبقها تطبيقا كما تلقاها من المرشد . فتثمر تلك العلوم العملية علما آخر هو العلم الذى لايمكن تعلمه إلا بالله عز وجل ومن ذلك العلم علوم اليقين والتوحيد وعلوم الغيب بانكشاف معاني الصفات بمقتضى التجليات وظهور خفى الايات فى مرأى

(١) شراب الارواح ص ١٥٥

المكونات وهو العلم الفيضى ، وهو بالفضل ثمرة لما قام به من العمل الصادق والقدم السابق وهو العلم الالهى ... وهو كما بينه الامام .

أنواع العلوم النافعة :

نقرأ فى علوم الرسالة والآيات الخاصة بها للامام أبى العزائم رأيا وله فى هذه الآيات معنى ووردا نرده إن شاء الله تعالى :

يقول فى الآية الأولى من دعاء إبراهيم عليه السلام فى سورة البقرة (١٢٩) .

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » إذن فأكمل صفات رسول الله ﷺ أن يتلو علينا الآيات ، ويعلمنا الكتاب والحكمة ويزكيها - وهناك وصف آخر (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) .

« بذلك يمكننا أن نحكم على كل داع قام يدعوا الى الله إذا تلا علينا الآيات ، وعلمنا الكتاب والحكمة وزكى أنفسنا ، وعلمنا من علوم الغيب والإشارات ما لم نكن نعلم ، أنه وارث لرسول الله ﷺ وبذلك نتحقق أن الله تفضل علينا فضلا عظيما ، فمنحنا مامنحه أصحاب رسول الله ﷺ من بيان أسرارهِ ، وكشف حكيمه وأحكامه ، ولم نفقد الا أن نكون معاصرين لذاته ﷺ ونكون من أصحابه رضى الله عنهم . (يتلو عليهم آياته) والمعنى بالآية هنا ما أظهره الله فى الكون من عجائب قدرته وغرائب حكمته ولك أن تقول الآيات هى ألفاظ القرآن التى تتلى للتعبد .

وقوله (ويعلمهم الكتاب) أى يشرح لهم غوامض أسرارهِ ، ومكون غيبهِ بعد تلاوته . وقوله (والحكمة) قال بعض العارفين : الحكمة هى التخلق بأخلاق الله تعالى ، وقال مالك والشافعى : الحكمة هى السنة والعمل بمقتضاها ، وقال بعض العلماء : الحكمة هى الآيات المتشابهات والحكمة هى بيان مراد الله تعالى فى حكمة أحكامهِ وفى قصصهِ ، وأحكام عبادته وتقرير أسمائه العلية وصفاته .

(ويزكيهم) التزكية هى التطهير اما من كان كافرا فيزكيهم بالطهارة من الشرك . فأما أهل الاسلام فيزكيهم من الشبه ومن الاخلاق التى لايجبها الله تعالى ، وأما أهل الاحسان فيزكيهم بأن يدعوهم الى الفرار الى الله تعالى من الوقوف عند الاسباب ، وأما أهل اليقين الحق فيدعوهم الى أن يحيطوا أسرارهم من أن يكشفوها للعامة لئلا يفتن الناس ... (١) .

(١) أسرار القرآن : الامام السيد محمد ماصى أبو العزائم - ص ٢٥٣ وما بعدها تنصرف الطبعة الثانية

الكتاب : كشف أسرار القرآن الكريم وبيان حكمه ، في الاحكام الدالة على العبادة بتفصيل الجمل منها بالعمل حتى تكمل النفس والجسم .
الحكمة : المعنى الجديد عما سبق .. مراد الله تعالى في حكمة أحكامه وفي قصصه وأحكام عبادته وتقرر أسمائه العلية وصفاته ، والحكمة التي يعلمنا اياها رسول الله ﷺ هي الحكمة النظرية التي بها تقوى النفس بعد طهارتها فتسوح في عالم الملك والملكوت وقد تشرف على حضرة العزة والجبروت ، والحكمة العلية وهي الجامعة لهيئات العبادات صلاة وصوما وزكاة وحجا (يعلمكم مالم تكونوا تعلمون) :

تلك العلوم نوعان : نوع عملي ، نوع شهودي
النوع العملي : مايتعلق بالواجب على الانسان لله وللمسلمين جميعا أين كانوا .
وأما الشهودي : فليس للعقل أن يحصلها ولكنها أسرار تحصل من رسول الله ﷺ ، وهي الحكمة العالية في بعثة الرسل (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بأنفسكم من علم النفس وعلوم التوحيد والغيب ، وعلوم مافوق المادة ..

وليست هذه المعاني بعيدة المتناول عما سبق ذكره من السابقين لكنها بروح جديدة تطلع على النفس من قبيل اشراقها فهو بمعنى أصح حديث عهد بالله تعالى ووجه التوافق بين واضح ..

فهناك : الآيات : العلامات الدالة على التوحيد والنبوة وغيرهما .
وهنا : معناها : ماأظهره الله تعالى في الكون من عجائب قدرته وغرائب حكمته .
التزكية : الطهارة من الشرك ومن الشك هناك وتقع هذه أيضا بنفس المعنى وزيادة .
الكتاب : معاني الكتاب وحقائقه وأسراره هناك وهنا كشف أسراره وبيان حكمه وعلم الهيئات في الاحكام الدالة على العبادة أى بمعنى أسرار القرآن ومافيه من العبادات .
الحكمة : معرفة الاحكام والقضاء فهم القرآن ومافيه من المصالح الدينية والاحكام ، ومايزيل من القلوب وهج حب الدنيا .. وهي هنا أيضا بمعناها ما تقوى به النفس بعد طهارتها حتى تسوح في عالم الملك والملكوت والحكمة العملية الجامعة لهيئات العبادات ..

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) : مما لا طريق إلى معرفته سوى الوحي هناك : .وهنا نوعان : نوع عملي .. يتعلق بالواجب على الانسان نحو ربه والناس ، ونوع شهودي .. يأتي بالمعنى السابق وزيادة فيقول : « هي أسرار تحصل من رسول الله ﷺ ومنها علم

مالم تكن تعلم من علم النفس والتوحيد والغيب ، وعلوم ما فوق المادة » .. وهكذا نجد المعنى قد استوفاه مع زيادة يقتضيها الوقت والحال . فرضى الله عنهم أجمعين .

رأيه فى بعض العلوم الأخرى : -

وأما علم الصناعات والفنون ، والعلوم التى ترفع فى الدنيا ، وعلم الكلام فهذه العلوم ليست بنافعة صاحبها الا لمن جعلها درعا يقى بها الدين ويحفظ بها نفسه من الوقوع فى المضار من بدع مضلة أو جوع أو غيره ... وجعلها قرينة لله تعالى ..

وأما علم المنطق .. فيراه بديهيا مع الانسان ولذلك قال فيه « ألف أرسطو ثلاث رسائل مقدمات لكتاب البرهان الذى جعله ميزانا للفلاسفة كما جعل الشعراء علم العروض ميزانا للشعر وكما جعل الناس الموازين والمكاييل والمقاييس لتقدير الاشياء ، وكتاب البرهان هذا لم يجعله (أرسطو) لكشف الغيب المصون من النبوات والمغيبات عن الحس ولكن جعله ليحكم به على الالفاظ التى يختلف فى معانيها الفلاسفة فقط والافأرسطو ومن هو فوقه يعترفون أن الالهيين يعلمهم الله علما لدنيا لا ببرهان ولا ميزان . » .

أما الرسائل التى ألفها أرسطو فالأولى : منها لمعرفة معانى العشرة ألفاظ التى يقال لكل واحد منها جنس الاجناس وأن واحدا منها جوهر والتسعة أعراض وكمية أنواعها ورسومها . والثانية : لمعرفة تركيب الألفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات ومعرفة كميها أنواعها وكيف تستعمل حتى يحصل منها اقتران القضايا ونتائجها .

« علم المنطق لازم للانسان » .

يرى ان هذا العلم يوجد مع كل إنسان فى إبان حياته . حتى انه ليكاد يكون من البدييات ثم ينمو بعد ذلك مع كل إنسان : « فالطفل بعد الرضاع يعلم أكثر البدييات فيعلم أن البعض أقل من الكل ويكى ليأخذ كل الشئ إذا طلبه فأعطوه جزءا منه ، ويعلم أن الكل أكثر من الجزء ويعلم أن الارض تحته وأن السماء فوقه ، ويشعر بمرتبة أبيه وأمه وأخيه والأجانب عنه ، ويفرح اذا أعطى له مايسره ويكى اذا منع عنه مايريده ، فيحس بالمنع والاعطاء ثم تنمو تلك الغرائز المنطقية بنموه حتى يدرك ماغاب عنه من الآثار بمشاهدة ، فيعتقد أن البعرة تدل على البعير والصنعة تدل على الصانع ويقيس الامور بأشباهاها . فليس علم المنطق من وضع فلاسفة اليونان الذى جعلوه

ويقول رضى الله عنه في الآية الثانية من سورة البقرة : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ...) وتلاوة الآيات هي أن يسمعنا كلام الله تعالى ، وان يبين لنا مافى الكون من بدائع إبداع آيات الله الدالة على قدرته وحكمته ، وقوله تعالى : (يتلو عليكم آياتنا) فيه تعظيم لحضرة رسول الله ﷺ ، حيث اقامه سبحانه وتعالى ليتلو الآيات المضافة الى ضمير المتكلم بلفظ (نا) الدالة على العظمة ، التى يدل معناها على أن الآيات التى تتلى هي ألفاظ الكتاب العزيز ، وبيان أسرار الكون مما ظهر للأبصار والعقول ، وما غاب عنها ، حتى تحصل لنا الطمأنينة فيكمل اليقين كما قال الله تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وبيان الآيات الكبرى بعبارات الصادق كرؤيتها بالعيان من حيث حصول اليقين الحق بها ... قال على عليه السلام ... (لو كشف الحجاب ما زددت يقينا) كأنه يقول : ان سماع أخبار الحقائق الغيبية من الصادق كرؤيتها ... (ويزكيكم) الزكاة فى اللغة هي الطهارة والمراد هنا - والله أعلم - هو تزكية نفوسهم بما يشرحه ﷺ لنا من أسرار النشأة الاولى والثانية ، وبيان حكم الله فى ايجادنا وامدادنا ، وبيان آيات الله الخفية التى لانعلم ولا تشهد الا ببيانه ﷺ ، وبعد التزكية أى التطهر تكون النفس مؤهلة لتلقى أسرار التوحيد العالية ، وتكون قابلة لمواجهة وجه الله تعالى .

(ويعلمكم الكتاب والحكمة) ذكر التعليم بعد التزكية وبعد تلاوة الآيات ليعلمنا الله تعالى كيف نعلم الناس ، فنبداً أولاً بتلاوة الايات ، ثم نقدم الوسائل التى بها تزكوا نفوسهم ، ثم نأخذهم بالعلم على قدر عقولهم ، حتى يحصلوا من العلم ما به تخشى قلوبهم من الله تعالى ، والكتاب هو القرآن المجيد ، وتعليمه كشف أسرارهِ وبيان حكمه ، وعلوم الهيئات فى الاحكام الدالة على العبادة بتفصيل الجمل منها بالعمل حتى تكمل النفس ويكمل الجسم : (والحكمة) الحكمة هي أقوال رسول الله ﷺ وأعماله وأحواله التى يتذوقها من سمعوا التلاوة وزكت نفوسهم وتعلموا الكتاب .

والظاهر عندى أن بلوغ الكمال المطلوب فى نيل الفوز برضوان الله تعالى مرتب على تلك الحقائق . وان كانت الواو لا تقتضى ترتيباً ولا تعقيماً وقد سبقت تلك الآية فى دعوة الخليل عليه السلام فكانت كلمة : (ويزكيهم) فى آخرها ، ولكن تلك الآية هي من كلام الله تعالى وليست خبراً عن غيره كالآية السابقة التى هي خبر عن الخليل ابراهيم عليه السلام ، والحكمة التى يعلمنا اياها رسول الله ﷺ هي الحكمة النظرية ، التى بها

تقوى النفس بعد طهارتها فتسوح في عالم الملك والملكوت ، وقد تشرف على حضرة العزة والجبروت والحكمة العملية وهي الجامعة لهيئات العبادات صلاة وصوما وزكاة وحجا ، وبذلك يكون المسلم خليفة ربه في أرضه ، يقوم لله بما فرضه عليه من أركان الاسلام ، ومن حسن المعاملة والمبادلة ومن جمال الاخلاق ، فيكون غيئا هاطلا على الارض لينفع اخوته المؤمنين ، ولتجديد السنة ، واعلاء الكلمة بما منحه الله من العلوم والصناعات والفنون وسياسة المجتمعات الاربعة المنزلية ، والقروية ، وسياسة المدن والمجتمع الاسلامي العام .

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) من العلوم التي لا تحصلها العقول ولا الابدان وتلك العلوم نوعان : نوع عملي ، ونوع شهودي .

أما العملي : فما يتعلق بالواجب على الانسان لله ، والواجب عليه لوالديه ومن يليه في منزله ، ولجيرانه ، ولأهل بلده ، وللمسلمين ، جميعا أين كانوا .

وأما الشهودي : فان الانسان لا يمكن أن يعلم ما يحبه الله تعالى ويرضاه منه سبحانه بالعقل ولا بالجسم ، ولكن يحصل تلك الاسرار من رسول الله ﷺ ، وهي الحكمة العالية في بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وان كان المجتمع الاسلامي لا يهتدى الى خير معاشه ومعاده الا بالرسول الا أن تلك العلوم العالية التي ليس للعقل أن يحصلها ، لان العقل معقول بالقول .

(ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بأنفسكم . من علم النفس وعلوم التوحيد والغيب ، وعلوم ما فوق المادة الى أن تعرفوا الله تعالى ، فتكونون معه ويكون سبحانه معكم . (١) .

فمن المعاني السالفة نستخلص مايلي منها : -

الآيات : أسرار الكون مما ظهر للابصار والعقول ، وما غاب عنهما .
التزكية : الطهارة وتكون على حسب كل مقام فزكاة الكافر بالطهارة من الشرك ، زكاة أهل الاسلام من الشبه والاخلاق التي لا يحبها الله ، وزكاة أهل الاحسان بالفرار الى الله تعالى من الوقوف عند الاسباب وأهل اليقين بحفظ أسرارهم محافظة على الناس من الفتنة .

(١) أسرار القرآن للامام أبي العزائم ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها

لاستبعاد الامم وللاستعانة به على سد المطامع واتقان الصناعات ، ولذلك فان أعلم الناس بدقائق علم المنطق يعجز عن أن يقيم دليلا مقبولا عقلا على اثبات أى حقيقة من الحقائق المقرره فكيف يمكنه أن يقيم دليلا على ماغاب عن الحس والنفس والعقل» (١)

رأى الامام فى تربية المرأة وتعليمها :

وقبل أن نترك المجال التعليمى فى مدرسة الإمام نذكر رأى الإمام فى العلوم التى تتعلمها المرأة والتى ينبغى لها تحصيلها وكيفية تحصيلها فنذكر قوله : « تتعلم الايمان ثم تحفظ مالا بد منه من القرآن ، خصوصا الايات التى تتعلق بالعفة والأمانة ، وأركان الإسلام من صلاة وصيام أولا ، والزكاة والحج عند تعيينها عليها ، وكتاب الأدب من كتب السنه مع تفصيل باب المعاشرة ومعاملة الجيران والارحام والاقارب ، وثواب من يتولى مريضا ، وبعض الاخلاق من الرحمة والشفقة على الخلق والبر والصلة ، لتعلم مايجب عليها لوالدة زوجها ووالده وأقاربه ، ويمكنها أن تقوم بتعليم أبنائها الصغار ماتعلمته من العقائد الحقه والعبادة والاخلاق حتى لا تكون سببا فى فساد عقائد الأبناء ونقش الاباطيل والبدع على صفحات قلوبهم من الطفولية ، فان تكملت بعلم أحكام الحيض والاستحاضه واليمين بالله والطلاق وكتاب العورات وعلم من يحل لها أن تبدى زينتها له أو يحرم عليها ، كان ذلك كإلا لها ، ولو زادت على ذلك أخذ شيء من علم اللسان يجعلها اذا قرأت كتابا تميز بين الفاعل والمفعول ، والمحكوم عليه والمحكوم به ، أو قرأت حديثا لاتلحن فيه كان ذلك من الفضائل » (٢) .

وهو فى هذا محافظا عليها كما أمر الشارع ولهذا قصر تعليمها فى الفنون على ماتحتاجه فى بيتها ومتطلبها حاجتها ، أما عن الأداب التى تتعلمها المرأة والتى تحتاجها المرأة المسلمة فى أهلها وبين ذويها فيقول : « تتعلم كيف تطيع زوجها وكيف تحفظ عرضها وتعاشر أقارب زوجها ، وكيف تتصرف فى المملكة التى صارت رئيستها وتتعلم الإقتصاد فى الملابس والزينة والحلى والأكل والشرب وتتعلم أن تكون رياضتها البدنية فى أوقات فراغها بتنظيف الحجر وتركيب الادوات والبحث عما يحفظ الاثاث المنزلية وما يجعل زوجها منشرح الصدر منها ، وما يجعل ابناءها فى صحة وعافية ، وتتعلم آداب المجالسة مع أقارب زوجها وغيرها من النساء وآداب المعاشرة وآداب السلوك فى السفر والحضر » (٣) .

(١) عقيدة النجاه - ص ٣١

(٢) الاسلام نسب ص ١٧٦

(٣) الاسلام نسب ص ١٧٣

الأخلاق التي تتعلمها المرأة :-

تتعلم النفور من كل أجنبي لا يعينها التكلم معه ، والوحشة من كل رجل يتعرض لها
لالحاجة شرعية ، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها أو تذكر لها أجنبا ،
والعفاف بتعصب أعمى ، والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها أو
محرمها ، حتى أطراف أصابعها ، حتى تكون امرأة مصونة عفيفة ، وهكذا النساء
الفاضلات كن يسترن أطراف أصابعهن (١)

لكن هل تطلب العلم كما يطلبه الرجل من المهد إلى اللحد باحثة عنه في وديانه وآخذه
إياه من متابعة أى ساعية في طلبه من غير حد أو قصر ؟

وهل تأخذ من هذا وذاك في أى مرحلة من مراحل حياتها وفي سنين عمرها المختلفة
في الشباب منها والهرم ؟ يقول الإمام :

« أما من خمس الى سبع ففى المكتب مع اخوانها وأخواتها الصغار ، تتعلم القرآن
والإيمان (قواعد الاسلام) والكتابة والقراءة ، وفي السنة الثامنة تتعلم ما لا بد منه من
مبادئ الحساب والنحو والأخلاق ، وما تقدم من تعليم العلم في مدرسة أو في مكتب ،
يلزم أن يكون رئيسه مسلما تقيا ورعا معتقدا فيه مشهورا بالصلاح ، ومعه أساتذة
لا يقلون عنه وكلما كان معلم البنات قد تجاوز الخمسين سنة كان أكمل ويلزم أن يتعلمن
بمكتب أو مدرسة أقرب الى منزلهن ، وأن يكون بالمكتب والمدرسة محل خاصة بالصلاة
في وقتها وعقب الصلاة يعطى لهن درس عام بحسب المناسبات والاولى أن يكون خاصا
بالعفاف والشرف وغض البصر ، ولا ينبغي أن يكون في المكتب أو المدرسة معلم في
سن العشرين من عمره ولا غير مسلم ، الا اذا لم يجد المسلمون من يقوم بتعليم فن من
الفنون كالتطريز والنسج وينتدبون امرأة ليست مسلمة لتعليم هذا الفن مع ملاحظتها من
رئيس المكتب أو مندوبه ، خشية أن تبث فيهن نفسا خبيثة أو خلقا قبيحا يخالف
الفضائل الاسلامية والعوائد القومية » (٢) والإمام في هذا يحافظ على الآداب كأشد
ما يكون حفظا لها وحفاظا عليها .

(١) الاسلام نسب ص ١٧٣

(٢) الإسلام نسب ص ١٧٦ .

أصول وآثار في التربية العقلية عند الامام

لو عدنا قليلا إلى أدوار حياة الإمام الثلاثة لوجدناها مليئة بالأصول التربوية سواء بالتلقى أو بالإلقاء . وسواء كان بالدرس والشرح أو بالإملاء .. ففي الدور الأول : كان يكتب شروحا وأذواقا ومشاهد على بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ..

وفي الدور الثاني : ويبدأ من سنة ١٣١١ هـ أى وقت أن ذهب الى المنيا . وجدنا تلك الفترة خصيبة بالتراث من دروس تربوية ومواجيد قلبية ، واملاءات . وشروح وغير ذلك .. كثير .. ولنا أن نتصور مثلا ما جمع من القصائد في عام واحد هو سنة ١٣٣٢ هـ يبلغ في جملته ويقدر بخمس وعشرين ومائتين من القصائد هي التي وصلت إلينا بعد التراث التربوي بعد ذلك بالكثير ، بل وكثير الكثير ..

وفي الدور الثالث : ويبدأ من سنة ١٣٣٣ هـ ثلاثا وعشرين سنة حتى وقت وفاته ١٣٥٦ هـ لم نجد يوما على حسب نظامه اليومي خال من المواجيد في الصباح والظهر ، والعصر ، وفي المساء وفي الخلوة بالإضافة الى ما أملاه من الكتب ، والشروح والدروس التي لم تستقصى حدا ولا عدا .

وما دمنا الآن بصدد التربية العقلية .. وقلنا إن العلوم هي نور العقل المفاض عليه من الشرع الشريف والذي به يستضيء بنور الفهم ويخرج من ظلمات الوهم فإن ما وضعه الإمام من مؤلفات علمية وأصول تربوية يفوق الحصر لكننا سنثبت من ذلك -- باعتبار تلك الكتب والإملاءات والشروح والمواجيد أصول تربوية في مدرسته - بعضها حتى نكون بذلك قد استوفينا جانب التربية العقلية ..

ومن هذا التراث التربوي

١ - أسرار القرآن .. تفسير للقرآن الكريم يجمع مع القول المأثور . التفسير الإجتماعي والفقهى ، والأخلاق مع إبراز صورة التربية الإسلامية والمراد منها من خلال عرض الآيات الشريفة بأسلوب بسيط يصلح للعامة ، سهل ممتنع ، ومجموع من الحكمة والمعرفة لمن سلكوا السبيل ونالوا القصد في المنزل .

٢ - كتاب أصول الوصول لمعية الرسول

٣ - كتاب شراب الأرواح وهو كتاب جامع لكل ما يلزم المرید من علوم الدين عقيدة وعبادة ومعاملة ، وتفصيل علوم القلوب ومواجيد أهل اليقين » وكتاب شراب

الأرواح الجامع لمواضيع شتى في الأخلاق والنفوس وعلوم التوحيد والسير والسلوك» (١)

٤ - معارج المقربين

٥ - كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين : قال الإمام عن غرض الكتاب الأول « هو تنبيه السالكين والمرشدين إلى ما به صفاء جوهر النفس حتى تفقه القلوب أسرار الشريعة ، ويظهر لها أن نيل الخير كله في الدنيا والآخرة باتباع السنة ، وأن نوال السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة بفهم روح الكتاب والسنة وتعليم العلوم النافعة التي بها يكون كل فرد من أفراد المسلمين قائما بما وجب عليه لنفسه وعشيرته الأقربين » (٢) .

ومذكرة المرشدين والمسترشدين يقول عنه : الحمد لله ، قد شرح الله صدرى لأن أكتب مذكرة ، أبين فيها ما لا بد منه لمريد طريق الله تعالى إجمالا ، والذكرى تنفع المؤمنين ملاحظا في ذلك الوسط من كل شئ ، وأقدم بعض حكم تنبه فكر المريد لقبول الذكرى » (٣) .

٦ - النور المبين :

وهو كتاب وضعه الإمام ليبين فيه الواجب للمسلم وعليه ، ولذلك قال عن غرضه من الكتاب « تحصيل العلم النافع تحصيلا يكسبنا الخشية من الله تعالى والعمل بشرائع الإسلام حتى تلين الأبدان والنفوس وتنجذب إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة (٤) .

٧١ - الإسلام دين .

٨ - الإسلام نسب .

٩ - الإسلام وطن .

وهي كتب ثلاثة منفصلة وضعها الإمام رضى الله عنه لبيان ما على المسلم لمجتمعه والعكس ولذلك قال : « ولما كان أهم ما نسيناه نحن المسلمين الوطن والنسب والعبادة

(١) مقدمة أسرار القرآن (ز) الطبعة الثانية سنة ١٤٠١ هـ .

(٢) معارج المقربين ص ٨ . (٣) النور المبين ص ١٧ .

(٤) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٣ .

والأدب الإسلامي واعتصامنا بحبل الله ، والواجب على كل مسلم لكل مسلم وعلى كل مسلم للمجتمع الإسلامي ، وعلى المجتمع الإسلامي لكل مسلم وعلى كل مسلم للمجتمع الإنساني : شرح الله صدرى لتفصيل تلك الجملات وتوضيح تلك المبهمات فكتبت في كل أصل من هذه الأصول رسالته

الأولى فى الإسلام ديس

والثانية فى الإسلام وطن

والثالثة فى الإسلام نسب (١)

ويقول من كتاب الإسلام دين الله « ولما كان الغرض من هذا المختصر بيان بعض جمال الإسلام وما يتكامل به المحافظ على حدود الله تعالى فى الدنيا ، وما يفوز به من النعيم الأبدى فى الآخرة »

١٠ - الفرقة الناجية :

وهى الفرقة التى قال عنها النبى ﷺ أنها فى الجنة وهى الناجية وعداها فى النار ثم وصفها الامام وصفا دقيقا مبينا مقاماتها ودرجاتها ولذلك قال : دعانى واجب وقتى أن أكتب رسالة أسميها (الفرقة الناجية) أجمع فيها ما كان عليه السلف الصالح فى تلاوة القرآن المجيد وفى عبادة الله تعالى ، وفى المعاملة ، وفى الاخلاق ولاأخليها من الإشارة الى ماكانوا عليه من أعمال القلوب وقد كتب فيها تفسيراً مسهبا لآية من كتاب الله جامعة للمقامات التى ينالها المؤمن (٢) وتلك الآية هى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون ..) (٣) والكتاب جزءان طبع الجزء الاول منه ولايزال الثانى مخطوطا .

١١ - وسائل اظهار الحق :

بين الامام سبب وضعه هذا الكتاب فقال « وكان يتردد على كثير من علماء الافرنج لزيارتى وأنا بمختلف بلاد العالم الاسلامى ، ويحتدون فى أن يسألونى عن أشياء يجهلون حقائقها ولما كنت أكره الجدل ، أحببت أن أكتب هذه الرسالة وأسميها (وسائل اظهار الحق) تنمة لكتاب صديقى الشيخ رحمه الله الهنذى ، ولكن القلم كان ينزع كثيرا إلى نفع المجتمع العام الاسلامى خاصه والانسانية عامة (٤) .

(٢) التوبة : ١١٢

(٤) مقدمة وسائل اظهار الحق ص ٤

(١) الإسلام دين الله ص ١٩

(٣) الفرقة الناجية ص ١٨ الطبعة الثانية

١٢ - محكمة الصلح الكبرى

وهي كتاب تربوي يأخذ من النفس الانسانية جميع أطرافها ، فيضعهم موضع التضاد على مراتبهم في الحقيقة . ويترك لكل من الأعضاء أن يدافع عن نفسه . ويعرض قضيته وحاجته أمام محكمة من النفس أيضا متخصصه .. وبعد أن تلوح الحجج ، ويقل الحجج ، تصطلح النفوس .

فرييس المحكمة : العدل وأعضاؤها أربعة وهم القسط والعلم والهدى والتوفيق ، وكاتب الجلسة أمين ثم حاجب ورئيس شرطه وعدد من الحراس ، وجعل خصومها مدعيان وهما العقل والفكر ، ومدعى عليهما وهما النفس السبعية والنفس البهيمية ، وخصوم متدخلون مع المدعين وهم الروية والعفة والشجاعة والكرم والعدالة والنور والعزة والرحمة والمنطق والخشية والحكمة وخصوم متدخلون مع المدعى عليهما وهم التهور والشهوة والجبن والبخل والقدر والحس والضيم والقسوة والجسم والتهيه والحماقة : (١) .

وهو كتاب في التربية غاية في الإبداع وحين تعقد النفوس صلحا وتعقد بالصلح عزا على مواصلة الحياة فهو نوع فريد وقلائد منظومة من درر معقودة يعجز البيان عن انزالها منزلتها .

١٣ - الظهور المدار على قلوب الابرار

والكتاب إجابة عن أسئلة عن المجددين وما أخذهم وأساس التربية عند الإمام للطالبين ومجاهدتهم وسر احتياج المسلم الى هذه التربية وبيان عن المرشد والسلوك في أربعين صفحة تقريبا ثم بعد ذلك دروس من الخلوة في التوحيد والنفس والقدس والملوك والملكوت وآدم وجنته والأمانة التي حملها الإنسان وهي دروس غالية ، وحكم عالية .

١٤ - تفصيل النشأة الثانية :

وضعه الإمام إجابة على سؤال من أحد أبنائه هو محمود باشا سليمان وفي ذلك يقول الامام (طلب منى أخى وحبيبى العامل المحلص لديه ووطنه ، سعادة محمود باشا

(١) انظر محكمة الصلح الكبرى ص ١٥ الطبعة الثانية .

سليمان أطال الله عمره ونفع به أن أشرح له أحوال البرزح وما بعده ليتمثله في كل أنفاسه لأن الايمان به المجرد عن العلم بأحواله الخاصة ، لا يكفي في مراقبة ذلك واليوم وأهواله وشدائده ... لتلك الإعتبارات لبيت دعوة صديقي وحبيبي ورأيت من الواجب على أن أجعل الجواب رسالة جامعة لتلك الحقائق وأن أتم هذا المقصد العظيم ببيان الطريق الموصلة لنيل الخير يوم القيامة .. «(١)

١٥ - عقيدة النجاة :

كتاب يشرح العقيدة كما جاءت عن السلف الصالح يقول الامام : سألتني بعض أهل العلم والطريق عن عقيدة النجاة فأجبتهم بتلك الرسالة التي تحتوي على مقدمة وبضعة فصول وخاتمة . (٢) .

١٦ - الشفاء من مرض التفرقة

وهو إجابة على سؤال يطلب العلاج من التفرقة والشفاء من هذا الداء العضال وهو تربية للعلماء والدعاة .

١٧ - دستور آداب السلوك الى ملك الملوك .

وهو شرح لبيان مالا بد للمريد منه فهو قاعدة في التربية والآداب وفصول في التوحيد ودروس تلقيه وأنواع هذا التوحيد .

١٨ - دستور السالكين طريق رب العالمين :

وهذا الكتاب يحمل رسالة الآداب التي يجب أن يتحلى بها السالك في طريق الله من المراقبة وتقى الخواطر المذمومة عن نفسه وعدم مساكنة الأفكار الشاغلة حتى يعبد الله بقلب سليم «(٣) .

١٩ - بشائر الاخيار في مولد المختار :

وهو قصة وسيرة وتاريخ للنبي ﷺ في نسبه وحمله ورضاعه ونبوته ونعمته للدنيا ورحمته للعالمين ، وفيه كشف البراقع عن جمال الغيب المصون ، وإمطة اللثام عن

(١) تفصيل النشأة الثانية ص ٥ الطبعة الثانية

(٢) عقيدة النجاة ص ٧ الطبعة الثانية .

(٣) مقدمة دستور السالكين ص ٤ الطبعة الثانية .

غوامض الأسرار في بعض مقامات النبي ﷺ وهو في ذاته نفى للبدع وازالة للتخريف ،
وبعد عن الريب .. في جمال بديع .

٢٠ - السراج الوهاج في الإسراء والمعراج

وفيه شرح وتفصيل جميل العبارة على الإشارة في مقام الإسراء والمعراج وما يتعلق به
من أحكام وما ينتج من أسرار ، وما يبدأ من رحيق مختوم في جمال الرحلة وقصة
الذكرى .

٢١ - صيام أهل المدينة المنورة :

وفيه قبس مضمون ، ودر مصون في معنى الصيام ورتب الصائمين وشرح لآياته
وكشف لبياناته وأحكام الصوم ومراتبه من صوم العارفين وصوم المقربين وصوم المحبوبين
وصوم الصوفية وفرائض الصوم وأحكامه وبيان ليلة القدر وزكاة الفطر وصلاة
العيدين ... ومشاهد في الصوم والصائمين ومواجيد للطالبيين والسالكين .

٢٢ - تفسير سورة القدر :

وهي رسالة صغيرة كتشف فيها الإمام أسرار ليلة القدر وتنزل الملائكة والألف شهر
وهل هي زمانه محده؟ (١) .

٢٣ - هداية السالك الى علم المناسك :

وضعه الإمام بمناسبة سفره للحج وبصحبته بعض الإخوان يقول فيه الإمام « ولما أن
يسر الله هذا المقصد العظيم شرح صدور كثير من أحماء فقراء آل العزائم بالصحبة في
السفر طمعا في الفوز بقبول الله والإقبال منه سبحانه وتعالى علينا ، بمناسبة أن الحج
بالجمعة فأحببت أن أكتب رسالة في المناسك مبينا فيها آداب السفر من خروج الحاج من
بيته الى أن يصل الى مكة المشرفة وأركان الحج وفضائله ، مشيرا الى حكم تلك الأركان
والفرائض ملما الى حج الروح بعد بيان حج الجسم ليكون لنا بذلك حظ أوفر وقسط
أعظم . (٢) .

٢٤ - رسائل الفتوى العزمية في بيان الوسيلة وما اختلف فيه من السنه والبدعة :

وهي جواب عن سؤال عن حكم التوسل بالنبي ﷺ شرعا وعقلا وبيان السنة ،

(١) الامام أبو العزائم حياته وجهاده وآثاره ص ٥٦

(٢) مقدمة هداية السالك ص ١١ طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية القاهرة .

وقصيدة طويلة في التوسل وحكم الصلاة على النبي بعد الاذان وصلاة الترويح وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، والحكم على أهل البدع وبيان الكبائر المتعلقة بالبدن يقول الامام :

« سألتني كثير من أهل العلم والتقوى من بلدان شتى يستفتونني عن مسائل دينية مختلفة وسدا لابواب الفتن توجهت الى الله تعالى متوسلا اليه بذلي وانكساري أسأله سبحانه أن يمدني بروح منه وأن يلهمني الصواب في بيان ما اختلف فيه اخواني انه مجيب الدعاء »^(١)

٢٥ - الجهاد :

وهي مقالات كان يكتبها الامام في مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت بعد انتقاله .

٢٦ - من جوامع الكلم :

وهي حكم للامام مما كان يمليه على ابنائه جمع بعضها ثم طبع في كتاب بهذا الاسم .

٢٧ - الطريق الى الله :

وهي مقالات للامام في مجلة المدينة المنورة جمعت ثم طبعت في كتاب باسمه .

٢٨ - حديث الجمعة :

وهي دروس كان يلقيها الإمام عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع حيث كان الامام يستمع الى المقرئ قبل الصلاة ويشرح معاني افتتاح التلاوة وهذه المقالات تبدأ من عام ١٣٤٠ الهجري الى عام ١٣٤٦^(٢) وقد ظهر أخيرا كتاب يحمل هذا الاسم^(٣)

٢٩ - منازل السالكين :

وهو اسم لكتاب تحت الطبع^(٤)

٣٠ - الفتوى الشرعية في بيع أرض فلسطين لليهود ،

ونجده أيضا ضمن قائمة المطبوعات من مؤلفات الامام^(٥)

(١) الفتوى العزمية ص ٢ الطبعة الاولى صبح ليلة القدر سنة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الامام أبو العزائم حياته وجهاده ، وأثاره ص ٤٤

(٣) حديث الجمعة للامام أبي العزائم في دار المدينة المنورة .

(٤ ، ٥) كانت هناك قائمة بالكتب تطبع على غلاف الكتب المطبوعه للامام وهذان الكتابان وجدا على غلاف الفتوى العزمية ..

٣١ - ونجد كتباً أخرى ضمن قائمة مطبوعات دار المدينة المنورة وهي المرأة والاسلام والرد على نظرية داروين ، وجملة مسرحيات على غرار محكمة الصلح الكبرى كانت تنشر في مجلة المدينة المنورة .

٣٢ - الجفر :

وهو كتاب يجمع خمس عشرة قصيدة في علم الجفر ، وفيها بيان لاجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم في مواجيد وقصائد .

٣٣ - الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية : -

والكتاب مجموعة من الأدعية والتوسلات لطلب العون من الله تعالى وصيغ من الصلوات على سيدنا رسول الله ﷺ وهي أحزاب وفتوحات حسب أيام الاسبوع .

٣٤ - نيل الخيرات بملازمة الصلوات :

جملة أوراد الليل والنهار وختم الصلاة ، والصلاة على رسول الله ﷺ .

٣٥ - الادعية والإستغاثات الكبرى :

٣٦ - مشارق البيان في فضائل نصف شعبان :

ثانياً : المخطوطات

حفظ لنا من التراث الكثير فطبع بعضه اثناء حياة الامام وبعضه بعد انتقاله وهناك الى الآن بعضاً لا يزال مخطوطاً نذكر منه على سبيل المثال :

١ - المضمون والمكنون :

هو كتاب فيه أسرار العلوم ، وغوامض الفهوم من الحكم العالية ، والأسرار الغالية أشار اليه الإمام في مؤلفاته فقال « ولقد أشرت الى هذه الأذواق وتلك العلوم في المضمون وفي المكنون . (١) .

٢ - موارد أهل الصفا :

وفيه يرد الامام على رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا مبينا حقيقة الصفاء ومورد أهل الصفا وهو الرحيق المختوم من القرآن الكريم . (٢) .

٣ - سيرة النبي ﷺ :

(١) ، (٢) الامام أبو العزائم حياته وجهاده وأثاره ص ٤١ ومابعدها .

وتقع هذه السيرة في ألفى وخمسمائة صفحة من حجم الفيلوسكاب وفيها يقول الإمام عن النبي ﷺ : « انه يتجمل بأكمل الأوصاف التي يحبها الله تعالى من عباده وأجمل الأعمال التي يريدّها الله من أحبّابه ، وأتم الأخلاق التي هي أخلاق الله عز وجل . نطق على لسانه ﷺ بكلامه القديم وهدانا للإيمان والتوحيد ، فهو الحجّة البالغة والآية الظاهرة به يهتدى المهتدون وبتابعه يتقرب المتقربون فمن رغب عن سنته ولو عمل بكل الكتاب فهو هالك ، ومن أقام سنته واهتدى بهديه وبايعه نجا وحظى بحظوة الشهود ... » (١)

٤ - تفسير القرآن الكريم :

فبعض التفسير قد طبع

ومنه ما زال مخطوطا

٥ - الجزء الثاني من الفرقة الناجية :

نجد في ختام الجزء الاول « تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه الجزء الأول من كتاب الفرقة ويليّه الجزء الثاني وأوله « بينت لك ماتحمّله أصحاب رسول الله ﷺ الخ .. والله الموفق » (٢)

وهناك غير ذلك كثير . مما نراه . يفى بالأصول التربوية ، وعلى وجه الخصوص بالتربية العقلية ..

(١) السابق ص ٤١

(٢) الفرقة الناجية الطبعة الأولى ص ٩٦

الفصل الثالث التربية الأخلاقية

رأينا فيما سبق عند اعتدال النفس في قواها انها جاءت بالفضائل الخلقية والتي يقول عنها علماء الأخلاق بأنها أمهات الفضائل ..

فاعتدال النفس الناطقة أو العقلية تأتي عنها فضيلة الحكمة ..

واعتدال القوة البهيمية أو الشهوانية تأتي بفضيلة العفة ..

واعتدال قوة الغضب في النفس ينبع عن فضيلة الشجاعة ..

واعتدال تلك الثلاثة يأتي بفضيلة العدل .. فتكون تلك الأربع هي أمهات

الفضائل .. (الحكمة والعفة والشجاعة والعدل) ومنها تأتي بقية الفضائل الأخلاقية ..

والإنسان لا يكون متخلقا بالخلق الفاضل إلا إذا ظهر خلقه في بيئة صالحة يرى فيه أثر

ذلك الخلق أى يظهر أثر الخلق على الناس من صاحبه فكمون الخلق في النفس لا يعد

خلقا .. وهذا مذهب الامام فيه ورأية فيقول :

« ولاتكون تلك الفضائل فضائل حقيقية إلا إذا ظهرت لوازمها من غير الشخص

المتجمل بها ، فإن العلم لا يكون فضيلة للشخص إلا إذا نفع غيره ، والشجاعة لا تكون

كذلك إلا إذا نفعت الغير بالذود عن الدين وعن الضعفاء وعن الاعراض وإقامة

الحدود . والسخاء لا يكون فضيلة إلا إذا بذل المال في وجوهه الشرعية وأعان به العلماء

العاملين : الأتقاء الصالحين بوجه الله العظيم »^(١) .

ومن هذا فقد وضع الإمام إطارا للخلق الفاضل يظهر أثره في الغير ، ولما كان

الإنسان في تربيته ملازما للقدوة متربيا على يديه كان لزاما أن يظهر الخلق أول ما يظهر

مع الأستاذ والقدوة والمرشد ..

(١) معارج المقربين ص ٦٨ .

ثم هناك للطالب اخوان يصحبوه في التربية ويسرون معه في نفس الإتجاه . فكان تبعاً لذلك عليه أن يتخلق فيهم بالأخلاق الفاضلة ..

وقد وضع الإمام تلك التربية الأخلاقية سواء في صحبة الأستاذ أو الإخوان آداباً يسير عليها المتعلم حتى ترسخ فيه فتصدر عنه بعد ذلك بغير فكر ورويه . أى تصبح له خلقاً يعتاده وهيئة تلازمة ..

أولا : الآداب الأخلاقية في صحبة القدوة (المرشد)

نعلم أنه لا يقوم بالتربية إلا عازف بها حاذق فيها عالم بأمراض النفوس وطرق علاجها .. ولما كان المريض لا يخلو من ملاحظة ومراقبة سهرا على صحته ، وطلبا لسلامته فقد قام النائب مقامه ... ولما كان هذا البذل من المرشد للطلاب والسالك من غير عله أو غرض إلا وجه الله تعالى فقد وجب على المرشد حسن الصحبة للمرشد ، واحسان العشرة معه ، والتأدب معه بآداب الصحابة مع رسول الله ﷺ وهذا ماوضحه الامام فيها ولما كانت تلك الآداب أخلاقا نافعة تجلت فيها المدرسة وظهرت بسمتها وصورتها آثرت كل الآداب من غير نقص وان كان في ذلك بعض الإطناب الا أنه لتمام الفائدة في الاعداد .

الأمر الأول :

« المحافظة على تحصيل علومهم ، وفهمها فهما حقيقيا يطمئن به القلب والسؤال منه عن كل ماوقف عن ادراكه الفكر أو قصر عن فهمه العقل ، ليبينوه بمثل تقربه وكشف مالا يستبين للعقل بحجة تقررره أو برهان يؤيده ، ولزم في هذا القسم الأول أن يقيد مايتلقاه في بطون الدفاتر : خشية ضياعة أو نسيانه . » .

الأمر الثاني :

« .. التشبه بالعلماء الهداه المخلصين لربهم في أساليب عباراتهم وطرق تعليمهم وفنون استدلالهم ، وجميل أخلاقهم ، ولطيف سمتهم وظريف هديهم : حتى يكونوا نسخة كاملة طبق الأصل ، ولايصل الى هذا المقام العلى الا اذا كان العلم مطلوبا لذاته ، مرغوبا فيه للوصول الى الحق سبحانه ، وللعمل بما يرضيه جللت قدرته وللمعاملة التي يجيها « تنزهت ذاته » لأن من تحقق بتلك الحقيقة تلقى العلم الحقيقي من العالم بالقول والعمل والحال . فان العالم الرباني الوارث لرسول الله ﷺ ، قوله علم ، وعمله من عبادات ومعاملات ، وحقوق لذاته علم : وأحواله من بسط وقبض وأنس ووحشة وتواضع وعزة في النفس وغير ذلك علم . » .

الأمر الثالث :

« .. العمل بما علمه من غير تأن » ولو كان في العمل عناء لنفسه أو ضياع لجاهه وماله ، أو فقد لعضو من أعضائه اذا اقتضى ذلك العلم ، بذلك يعلمه الله العلم اللدني الذي لا يمكنه أن يتعلمه من غير الله تعالى ، وليحذر أن يميل عن العمل بالعزائم في خاصة

نفسه ، ويعمل بالرخص والتأويلات التي تحتملها بعض ألفاظ الأحكام الشرعية ، فان فهم الرخص ، وفهم التأويل ، وان كان علما الا أنه جهل اذا تعلم الرجل العلم ليتبع الرخص ، ويعمل بالتأويلات الملائمة لحظه وشهوته وهواه ، ومن قدم حظ نفسه على حظ ربه ، لم يخش ربه ، ومن لم يخش ربه فليس بعالم قال الله تعالى (إنما يخش الله من عباده العلماء) فان قال انى عالم نقول له : عالم بالحيل وفتح أبواب الذرائع .

الأمر الرابع :

« .. اذا كنت أيها الأخ البار اتبعت العالم الرباني : فاصبر يا اخي على جفوته وإن جفا ، فان للعلماء دالة على الطالبين ، وامتحانا لاخلاقهم واختبارا يكشفون به ما طوى عنهم من فطرهم ، واعتبر يا أخى من التماس سيدنا ومولانا موسى بن عمران عليه السلام من العالم بقوله : (هل اتبعك) ففى لفظة (هل) الإستفهامية دليل على أنه لا يكلفه ولكن يلتمس منه ، وفى قوله (اتبعك) مافيا من التملق للعالم تشعر بأنه جاء منتدبا متعلما خاضعا (على أن تعلمن مما علمت رشدا) انظر ايها الأخ - الى مقام كليم الله ومنزلة ذى العزم كيف تواضع للعلم ، وذل له وهاجر اليه ، فاذا كانت هذه حالة كليم الله ﷺ فى طلب العلم والسعى للعالم فكيف بك أيها الأخ ؟ فاعتبر بقول العالم له (انك لن تستطيع معى صبيرا) وفى هذه العبارة من الدلال ونظر المتعلم بنظر المتبع الصغير ذلك وتفكر فى تعليل ذلك بقوله : (وكيف تصير على مالم تحط به خبراً) ، لأن العالم الرباني ، والعارف الروحاني يعمل أعمالا عن سر القدرة ، وعجيب الحكمة ينكرها العابد ، فكيف بالنبي ؟ وقد علم العالم أن الذى يكلمه من أولى العزم وأنه سيدنا موسى بن عمران ، وتحقق أن الأعمال التي يعملها منكورة عند العباد فضلا عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتأمل فى اجابة سيدنا موسى - عليه السلام (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) فكأنه أقره على أنه يمكنه أن يشهد الأعمال التي ينكرها ويصبر عليها وأن يطيعه اذا امره بأمر لا يظهر له وجه الحكمة فيه .

هذا هو أدب الله تعالى الذى أدب به رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم فتأدب أيها الأخ الطالب بهذا الأدب مع العالم الرباني والعارف الروحاني والراسخ فى علم المتمكنين .. » .

ومن الآداب أيضاً « ايها المرید المخلص سارع فى مرضاة العالم وكن حكيما لاتبع لغير نفسك أسراره ، ولا تظهر لغير عقلك كإلاته ، فانك إن فعلت غير ذلك كنت مدعيا حبه ، وساعيا فى ضرره ، وربما ظهر له فنفر منك نفرة صرت بها محروما أو سقطت من

قلبه سقوطاً تصير به مبعدا ، لأنك اذا بحث بأسراره لغيرك وأسرار الرجال مأكبر عند غيرهم ، ومقامات الرجال مستحيلة عند من لم يؤهلهم الله تعالى لهذا العلم فان كنت تعلمت العلم لتنال السعادة فاشكر الله على ما كشف لك من أسرار العالم ، وعلى ما منحك من التسليم له والتصديق به ، وما فهمك من مرموزات اشاراته ، وحقيقة عباراته ، وانخل بها على غير نفسك ، غيرة على الحكمة أن يعلمها غير أهلها ، فاذا خالفت هذا وفتحت على الأستاذ باب الإنكار عليه ونهت السنة السوء إليه بما بحث به من علومه ، وما أظهرته من أسراره ، فانت صديق جاهل والعدو العاقل خير من الصديق الجاهل .

ومن أكمل آداب المتعلمين للعلماء : أن يجعل نفسه خادماً للعالم وأن يرى أن كل ماله وما من الله به عليه من العلم والجاه والمال والأولاد والإخوان تحت تصرف العالم و اشارته : متحققاً بذلك معتقداً ان ذلك نجاة له وسعادة في الآخرة ويجعل خير كل شيء مبذول للعالم ، بحيث يكون مشتغلاً في سره وعلنه باتباع العالم ، والإقتداء به متباعداً عن مخالفته محافظاً على اكرامه وكرامته واذا رأى من نفسه غير ذلك : اتهمها وخشى أن تواقع في الحجاب والغرور أو الغفلة - نعوذ بالله من ذلك - وليعمل كل ذلك ابتغاء وحه الله تعالى ورغبة في نوال فضله ورضوانه .

ومنها أيضاً قوله : « بعض المريدين يجهلون قدر الرجل فيتبعونه لحظ عاجل من حظوظ الدنيا أو يجعلونه وسيلة ليوهموا الناس ، وينالوا أغراضهم أو للشهرة والسمعة ، أو لمداواة الناس ، ومن هؤلاء تحصل المضار للرجل وللمخلصين من أصحابه ، وهؤلاء أقرب الى أهل النفاق منهم الى أهل الايمان ، وقد ينتفع بعضهم فيتوب ويخلص ومثل هؤلاء لا يخفون على العالم ، لأنه يعلمهم بسيماهم ، ولكنه مأمور أن يأخذ بالظاهر ويترك السرائر لله تعالى ، ولكنهم يخفون على غير العارفين من المرشدين وانما التحفظ منهم يكون بالتنبيه على الخلق لأن الذي يتساهل بالواجبات الشرعية وبآداب الطريق الأولى هجره وطرده خوفاً من شره على الإخوان » ومنها أيضاً :

« أن بعض المريدين يعتقد في العالم عقيدة لا ينبغي أن يعتقدوها مريد سالك وذلك بما يسمعون من اشاراته القدسية وتلويحاته الروحانية وكشفه لرموزات مثل القرآن الشريف فيعتقد المريد لقصر عقله أن تلك الإشارات والرموزات خاصة بالعالم ولكنى أبين له أن كل مريد صادق : مستعد ومؤهل أن يرقى الى أن يصير مجملاً بأخلاق الله روحانيا

كاملا تسلم عليه الملائكة في الطرقات ، وتنزل عليه البشائر والتحيات ، كل ذلك بصحبة العالم ، والإقتداء به والسعى في تلقي علومه وأسراره .

وأما من يعتقد أن العالم هو المتجمل بتلك المعاني المخصوص بتلك الإشارات دون غيره فتلك العقيدة توقف المرید عن أن يقتدى بالعالم ، أو يعمل بعمله وتوقفه عن أن تعلو همته ليترك الدنيا الغارة وراء ظهره ، التي هي الحرص والتلذذ بالشهوات الحيوانية والأمل المضر ، ويقوم عاملا لله نافعا نفعا عاما بقدر استطاعته مجملا نفسه بجماله الروحاني ، ومجملا جسمه بجماله الشرعي ، وبذلك يرث أحوال العالم ، ويشهد مشاهدته ، قال صلى الله عليه وسلم « من أحب قوما حشر معهم » ... لم أقل لك أيها المرید : إنك تصل الى مقامات الرشد لتساويه في شهرة وتعظيم ومشابهة في مآكل ومشرب ، وملبس وعزة في النفس ، وإقبال وجوه الخلق عليه « لا » ولكني أريد أن تساويه في معرفته لنفسه ، وعلمه بحقيقته ، وتخلقه بأخلاق ربه ومشاهدته القدسية ومواجيد العلية ، وفنائته عن نفسه ، واحتقاره للدنيا ، ورغبته في الآخرة لاملأها الحسية بل لانوارها وأسرارها وبهجتها الدائمة القدسية» (١) .

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٢٣٣ - ٢٤٥ باختصار .

ثانيا : الأخوة في الله وآدابها

معنى الأخ في الله تعالى :

الأخ في الله تعالى هو الصاحب في السفر الى الله تعالى والمذكر في الحضر .. ولذلك أولى الإمام الأخوة كل عناية واشترط لها كل رعاية فجعل للأخ شرطا وصفة وجقا وتعريفا فيقول عن الأخ في الله .

« هو أنت إلا أنه شخص آخر لأنه يقصد ماتقصد ، ويتمنى ماتمنى ويعتقد ماتعتقد ويعمل بعملك ويقتدى بقولك وعملك وحالك ، ذاق ذوقك . وفهم عبارتك ، وأدرك اشارتك ، يسعى فيما يرضيك ويحب من تحب ، يصادق صديقك ، ويعادى عدوك ، يحفظك غائبا ويسرك حاضرا يذكرك ان غفلت ويعينك ان ذكرت ، يسارع في مرضيك عندما ترضى الله ، ويتوقف عن العمل ان جهل حكم عملك ، حتى يتبين له بدون جدل ولا انتقاد ولا اعتراض تجمل بكل خصالك واتصف بجميع صفاتك ، ودك بأكمل ما يود به نفسه ، وتحمل الشدائد في جمع الكلمة يجاهد نفسه ليتجمل بمكارم الأخلاق . يصل رحمك ويكرم أقاربك ويعطف على اولادك .. هذا هو الأخ ولو كان بعيد النسب عنك الأخ هو أنت خلقا واعتقادا ومقصداً وعملا وحالا . الأخ من بذل نفسه قبل نفسك ، وماله قبل مالك ، وقدم أصدقاءك وأهلك وأولادك على خاصته وأهله وأولاده . ليس الأخ بنسب الابوين انما الأخ من ناسبك في خصوصياتك ، وتشبه بك في جميع احوالك . قرب منك بما جملك الله به . فصار قريبك وانتسب اليك بما تقربت به الى الله تعالى فصار من نسبك ، الأخ من لا تتكلف له ولا تخشى الشر منه ، استوى عندك السر والعلن معه ، وأنت عظيم في عينه وقلبه في كل أحوالك ، من يسر وعسر وبعد وقرب ، ان شددت يسر وان يسرت هابك ، سروره أن تكون مسرورا ، هذا هو الأخ (وقليل ما هم) فهذا الأخ هو الوارث للأحوال والعلوم والأسرار فاذا كان من أهل نسبك كان ذلك أجمل وأكمل وذلك هو الفوز العظيم ، وانما هي مشابهة توجب القرب بعد الحب ، فالرقى الى المقام بعد الحال ، فالوصول فالكمال .

أسأل الله أن يجمعنا بأخلاقه وأن يمنحنا عنايته وأن يواجهنا بوجهه الجميل انه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»^(١) .

وليس معنى أن ينزل الأخ اخاه منزلة نفسه أن يكون كبير الاخوان في الصحبة

(١) دستور السالكين ص ٦٩

كصغيرهم أو يكون الصغير مرفوعا فوق كبيرهم بل لكل أخ في الأخوة رتبته ودرجته التي بها يحفظ قدره في نظر المؤاخين له ، ولهذا وضع الإمام صونا للإخوة وحفظا للمودة فيهم ، مراتب للاخوان حسب سبقهم وإيمانهم وصدقهم في سيرهم وصحبتهم وليس ذلك بغريب عن الشرع الشريف فالله قد كرم المتقين .

مراتب الإخوان :

« من سبقك ولو بيوم في صحبة الشيخ فله عليك فضل السابقين ثم تصلهم بقدر مجاهداتهم وبذلهم ، وموالتهم ، وكال اتباعهم وحسن أخلاقهم وصدق تسليمهم فقد يفضل الواحد على الألف لما اختص به من الفضائل والكمالات ، وهذا الفضل يجب على الاخوان أن يتناسوه فيما بينهم ، بمعنى أن الأخ الفاضل الذي ميزه الله بأكبر خصال الخير لا يشهد لنفسه فضلا على اخوانه ، انما ذلك أمر يشهد به الاخوان له فلا يغتر به ، بل يزداد في تواضعه ، وفي رغبته ، وفي اقباله ، وفي مجاهدته فان الكمالات الالهية لانهاية لها ، والمواهب الربانية لاحصر لها فمن وقف عند حد منها رضى لنفسه بالنقص مع تيسير الكمال له .

وعلى الاخوان أن يعتقدوا الاحسان في غيرهم ، والتفضل في أنفسهم أن يغضوا عيون البحث عن عيوب بعضهم ، ويصموا آذان التنقيب عن نقائص بعضهم ، فان المريد ليس معصوما ولا رسولا ولا ملكا نورانيا مجردا عن لوازم البشرية ، وعلى كل أخ أن يشتغل بتطهير نفسه وتركيتها عن عيوبها ، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساوئها ، وينظر لكمالات اخوانه ليتكامل بها وينظر محاسنهم ليتجمل بها وهذا سبيل السلف الصالح من أهل الحب والصدق والاخلاص «(١) .

الآداب الأخلاقية في الأخوة :

ولما كانت مراتب الاخوان محفوظة فيما بينهم فيما بينه الامام فيما سبق الا انه ذكر لهم جملة من الآداب العمومية التي هي ميزان حياتهم وصراط سعيهم المستقيم حتى تشعر الجماعة بأنها في سعيها مرتبطة بعاصم يعصمها عن الزلل ، ورابط يجمعها من الخلل فلا يقربها شيطان ولا يدخلها أهل الغفلة والضلال وهي آداب كثيرة عاصمة للأخوذ وحافضة لها منها .

(١) شراب الارواح ص ٦٧

أولاً : « الاخوان كثيرون الا أنهم جسد واحد كل واحد منهم عضو لهذا الجسد وروح سارية في كل عضو من أعضاء الجسد . وكل عضو متصل بالجسد فعله لنفع الجسد كله فاذا انفصل من الجسد لاينفع الجسد ولاينتفع وكذلك الاخوان فما دام الأخ يسعى في نفع جميع الإخوان فهو متصل بالله تعالى ورسوله ﷺ فاذا سعى في منفعة نفسه : دل ذلك على أنه قطع وُبعد .

والإفتمى رأيت اليد تأخذ الطعام فتنفع به دون الفم ؟ ومتى رأيت الفم ينتفع بالطعام بدون أن يدخله الى المعدة ؟ ومتى رأيت المعدة تنتفع بالطعام من غير أن تهضم ويصير دما ويسرى لجميع الجسم . وتنتفع به الجملة ؟

فالأخ في الله يخدم لينفع اخوانه وينتفع بمنفعتهم ومن أحب نفسه فليس منهم .

ثانياً : اذا عاتب أخ أخاه أو خاصم ، وكان لأحدهما أقارب أو أصدقاء من الاخوان أو كان بين أحدهما أو بين بعض الاخوان شيء في النفس فالواجب في الاخوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا الى القرابة ، وعلى من في نفوسهم شيء ، أن يروا الحق أجل وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفساني ، ويكونوا مع الحق ولو على أنفسهم سعياً وراء الإصلاح والصلح ، حتى تسلم صدور الاخوان لبعضهم وتصفوا قلوبهم من الأحقاد والضغائن والمؤمن ليس حقودا ولاحسودا ولايقابل السيئة بالسيئة .

والأجمل بالاخوان أن يجتهدوا في الإصلاح بينهما ومحو سبب الخصومة والله الموفق .»

ثالثاً : إذا رأيت من الأخ هفوة أو زلة ، فلا تفشها لأحد ولكن اجتهد في تقيحها أمامه بالحكمة حتى يتحقق قبحها ويتوب ، واحذر أن تشيعها عنه فربما سمعها منك جاهل بالنصيحة فبلغها له ، أو زجره عنها بحالة تنفره فتقطعة عن الله وتكون سبب ذلك .

رابعا : اذا جاهر أحد الاخوان بما يخالف الشرع ، أو ما يخالف المرشد فالواجب على جميع الاخوان أن ينصحوه ، فان قبل فيها ، والإهجره ، فان تاب فيها ، والاقطعوه من نسب الأخوة ، وأعلنوا ذلك لجميع الاخوان حتى يشاع عند الناس جميعا ، فلا تنسب عيوبه للاخوان ، ولاشك أن التساهل بالمخالف المجاهر من أكبر المصائب على الطريق وأهله .

نعوذ بالله من حال قوم يضيع الحق بينهم فلا يجد له نصيرا .

خامساً : « من أكمل صفات الاخوان أن يؤثر كل منهم أخاه على نفسه ، ولو فيما هو محتاج اليه كما قال الله تعالى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (الحشر : ٩)

والمتحقق بهذه الصفة كيف يرى نفسه أحق بحاجة أخيه من أخيه ؟؟ اللهم الا اذا بذلها وتحقق سروره في قبولها منه ومن خصالهم أن يحب الأخ أن يطعم أخاه من خير طعامه ، فيرسله له أو يدعوه اليه ، والأولى أن يختار كل أخ أخاه ليشركه ويحاسبه ، يأنس به ويجعله كنفه ، يعرض عليه أحواله ، ويستشيره في جميع أحواله ، يعينه اذا ذكر ويذكره إذا نسي ومثل هذا الأخ اذا وجد كان من اكمل النعم على المرید .

سادساً : « لما كان الحب انما هو في الله - لمعان يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ويحبها الاخوان والمؤمنون - وأهم هذه المعاني - أن يكون الأخ يعتقد عقيدة اخوانه المؤمنين ويرى رأيهم ويعمل أعمالهم بحيث لا يخالفهم في معروف من الدين ثم يكون ميزانه في الحب بقدر أخلاقه واثاره اخوانه على نفسه بأن يرى أنه أقل منهم ، اذا تحققت تلك الصفات في الأخ ، وجب حبه واحترامه وتعظيمه ، ووجب تقديمه ، على الوالد والوالده والزوجة والأبناء ، لأنه يعينك على السعادة الأبدية حتى ولو كان فقيرا لا يملك قوت يومه ، ولا يزيد حبه عندك اذا أصبح كنزا من كنوز الله فبذل لك جميع ماله لأن بذل المال أقل من بذل النفس واياك أن تحب أخاك لأنه ذو مال أو جباه ، واياك أن تقدمه لذلك وتحترمه ، فان ذلك يقدح في الحب في الله ، ولكنى استحسن لك أن تنزل أخاك الفقير المتصف بالمعاني المتقدمة من قلبك ، ارفع مراتب الحجة والتعظيم وتجعله خيرا من نفسك عندك ، متى كملت فيك تلك المعاني ، ويجب أن تدارى من لم تكمل فيهم هذه المعاني من اخوانك من أهل المال والجاه ، تألفا لهم وتبغى أن تحفظ قلبك من أن تحتقر أخاك الفقير المتجمل بتلك المعاني أو تصغره في قلبك وتعظم ذا المال والحياة لجاهه وماله . فان ذلك كالشرك في طريقنا قال الله تعالى (ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقال الله تعالى في وصف أهل الطريق الذين منحوا حقيقة المعيشة الحمديّة (رحماء بينهم)

وقال صلوات الله عليه (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (١) .

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير بلفظ « مثل المؤمنين ... » الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٥٩ .

وقال ﷺ « المؤمن كرجل واحد : ان اشتكى عينة اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله » (١) وعن النبي ﷺ أنه قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ثم شبك بين أصابعه) (٢) .

وان الاخوان انما اجتمعوا ليتعاونوا على البر والتقوى وليسارعوا الى مغفرة من ربهم ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، وكان خيرهم محصورا في مزيد اليقين والعلم والحب لله والبذل في الله والزيارة في الله وكانت تلك المعاني لا تتحقق الا في الضعفاء المساكين الفقراء حتى كأن الفقراء مع الاخوان مفاتيح الخير لهم وأبواب السعادة فبهم تكون النصره للاخوان ، وتنزل الأنوار ، وتظهر الاسرار وتتسع الأرزاق فعلى الأخوان أن يجعلوا الفقير الضعيف المسكين ، محل الشفقة والرحمة والعطف ، حبا في الله وتقربا الى رسول الله ﷺ لمن اتصفوا بالصفات التي يحبها .

سابعاً : « أيها الأخ - أيدك الله وايانا لاتباع الكتاب والسنة - اعلم انك اذا جلست تذاكر من يخالف في طريقك : بذكر خصوصيات شيخك ، أو أنوار طريقك ، أو بيان أن طريقك هو الطريق القويم والصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فانك بهذا تنفره منك ، وأنت مكلف بدعوة النصراني واليهودي الى الله تعالى فاذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم الى ما علمت من الحق فكيف تكون داعيا لله تعالى لاتقل اذا لم تحسن أن تؤلف اخوانك المسلمين .. أنك داع ولكنك منفر .

اذا جلست يا أخي - وفقك الله - في مجالس اخوانك المسلمين فبين لهم ما يالفونه من كالات رسول الله ﷺ ، وسعة رحمة الله والنعيم الأبدى الذي يناله من تمسك بسنة رسول الله ﷺ ، ثم حاذر أن تخالفهم فيما تعودوا عليه فان ذكروا الأولياء فترض عنهم ، وان ذكروا مشايخهم فامدحهم واثن عليهم حتى يالفوك ويأنسوك ، فاذا أنسوا فتكلم معهم بشيء من الحكمة على قدر عقولهم فان قبلوا وأقبلوا : فزد وان أنكروا منهم أحد فأحذر أن يكون شيطانهم : فلن له ولا تعارضه حتى يأنس أو انتظر بعده عنهم ، ولا تدمه في غيبته ، ودع ذكره مره واحدة مع الناس ، الا من تعلم فيه من الخير ، خشية أن يكون شيطانا من شياطين الأنس .

١) هذا الحديث أخرجه مسلم وابن حنبل عن النعمان بن بشير . انظر الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٧٢ .

٢) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي . عن أبي موسى الأشعري . الجامع الصغير ج ٢

ثامنا : اخوانى - منحنا الله الحكمة والحب والسكينة - اعلّموا أن المراد من الدعوة إلى الله تعالى : نجاة العامة من نومة الجهالة ، وظلمة الغفلة وحجاب الغرور بالدنيا ، ولا يكون ذلك الا بالشفقة والحكمة والرحمة والمحافظة على عباد الله من وقوعهم فى عداوة أولياء الله ، ومن انكار الحق وازلال أهله .

وعلى الأخ إذا رأى من نفسه انزعاجا من شدة المحبة وقهر الحال ، الا يجتمع الا على الخاصة من اخوانه ويتباعد من المبتدئين ، وعن من لم يسلك الطريق ، لأنه فى هذه الحالة ينفع الخواص ويضر غيرهم ، ويفتح باب الجدل والانكار ، والأخ الذى يجب أن يفتح باب الجدل والانكار على الاخوان : ليس بأخ ولكنه عدو .

تاسعاً : اخوانى - منحنى الله الحلم والتأنى - اعلّموا أنه من أشد الشر أن يكره المسلم أخاه المسلم لغير معصية الله وينفر منه ويعادية ، كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق ، فان كان أهل الطريق يبغضون من لم يسلك طريقهم ويعتقدون أنهم على الحق ، وأن غيرهم على الباطل وقد يبلغ بهم العناد الى أن يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا من غير بينة ولا حجة من كتاب ولا سنة ، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية ، ولو أنهم تأملوا قليلا : لتبين لهم جميعا أنهم اخوان فى الله وأن القرآن الكريم إمامهم ، وأن محمداً ﷺ نبيهم وسيدهم ومولاهم وأن الله سبحانه وتعالى هو ربهم جميعا ، وأنه لاخلاف بيننا فى عقيدتنا ولا فى عبادتنا ولا فى معاملاتنا ، ولكن الشيطان - نعوذ بالله منه - ينزع بين الأخ وأخيه ليوقعه فى عداوة من أوجب الله تعالى محبته ، ومحاربة من أوجب الله عليه مسالمته ، وقطعية من أوجب الله تعالى عليه صلته .

وباليت ذلك يكون لله أو فى الله ، بل لحظ متبع ، وهوى مطاع ، وتعصب لرأى قد يكون فاسدا ، حتى أصبح أهل الطريق وكأنهم وحوش تتنافر ، يسعى كل فريق فى ضرر الآخر خروجا عن السنة ومخالفة للكتاب العزيز ، قال الله تعالى :

(إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم) . (الحجرات : ١٠)

فيا اخوانى : جعلنى الله واياكم نورا للقلوب وانشرحا للصدور ، كونوا رحماء حلماة حكماء وأحبوا كل أهل : لا اله الا الله محمد رسول الله ، حبا للكلمة وحبا لله ولرسوله ﷺ .

واياكم أن تتهاونوا بسنة من السنن الخفية أو المؤكدة أو تتهاونوا بركن من أركان الدين أو يدفعكم عدوكم الشيطان الى عداوة أخ من اخوانكم المسلمين فان ذلك كله مروق من أخوة الايمان ، ومخالفة للجماعة ، وانما النسبة الى المرشد نسبة تلقى العلم والأسرار وليست نسبة تخرجكم عن الأخوة في الله لكل مسلم ، وانما النسبة للمرشد تؤكد لكم روابط الأخوة وتكشف لكم واجباتها ، وتوضح لكم حقيقة المحبة في الله تعالى كما يجب على كل مسلم لاخوانه ، نعم : يجب عليك أن تقول : تلقيت عن العالم فلان واسترشدت عليه ونفعني الله بعلمه ، وأسعدني الله بصحبته ، ورويت عنه ، وتسعى في أن تدل عليه جميع اخوانك ليتفقهوا في دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

فاذا جهلت ونسيت فمدحته وذممت غيره ، وعظمته وصغرت غيره وأحبيته وكرهت غيره ، فقد خالفت طريق المتقين ، كما أنك اذا تلقيت علومه واسترشدت برشده وأسعدك الله بحاله ، ثم لم تنتسب إليه لتظهر نفسك وتخفى المرشد ، كنت مدلسا ، وربما أوقع هذا التدليس صاحبه في نفاق به يكون في الدرك الأسفل من النار ، وخير الأمور الوسط ، والخير كل الخير أن ينجى الله على يدك عباده وأن يجمعهم من التفرقة ويبين لهم الطريق المستقيم ليسلكوه ويسيروا عليه .

عاشرا :

ان بعض الاخوان ممن يجهل المراد من الطريق ، قد يفتح أبواب الجدل والعناد حتى يتظاهر بعمل المنكر ، أو ترك المعروف عنادا ويجهل المسكين أنه بذلك قد أغضب الله ورسوله وخالف محجة الطريق .

فيا اخواني - حفظنا الله واياكم من البدعة ، وحصننا بحصون الشريعة - اذا رأيتم أخوا من الاخوان يفعل ذلك فعليكم جميعا أن تردوه الى الحق وأن تكلفوه أن يقتدى بالمرشد حقيقة الاقتداء ، فان أبى الا العناد ، فالواجب على الاخوان اتخاذه عدوا له ، وكيف لا يتخذوه عدوا وقد عمل ما يغضب الله ورسوله وخالف المرشد ، فكل أخ لم يتخذه عدوا فكأنه رضى بأخوته والراضى بعمل الكبيرة مرتكب لها . « (١) » .

قال تعالى :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الانفال : ٢٥)

(١) النور المبين ص ٢١ ومابعده .

وهذه الآداب التي رويناها ، وغيرها مما هو مبثوث في كتب الامام هي بحق وثائق أخلاقية بمثابة نظم للمسلمين عامة ولأهل التعليم والتربية خاصة .

ولو أننا أنعمنا النظر فيها .. لوجدناها اختصارا لمنهج حياة فاضلة . وأسلوب للسير رقيق فالجماعة كالجسد الواحد .. وسلامة الأعضاء واجبة للجميع على الجميع والتفريط في عضو هو التفريط في جميع الأعضاء . فإن حقير الأعضاء كأفضلها مادام قائما بعمله .

والجسد الواحد لو ميز فيه بين العين والقدم ما سلم له وضعه وما قامت به حياته فواجب الجسد الواحد سلامة الأعضاء جميعها .. والمؤمنون كالجسد الواحد كل على ثغره منوط به عمله حافظ على اخوانه عورتهم فلوا أهملها لأوتوا من قبله .. ثم يقيم الامام بعد ذلك .. قواعد أشبه بالوثائق هي في مجموعها استنباط من الكتاب والسنة ونور من معين الفيض المقدس على قلوب أهل الدين والورثة الحافظين .

وأساس الدين – لدى الامام – المحبة .. ومراتبها عنده متعددة متفاوتة فأدناها أن يحب الأخ لاخية مثل ما يجب لنفسه وأعلاها الإيثار . وقد وصف بالإيثار أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (الحشر : ٩) فدعوة المتعلمين الى الأخوة أمر يستوجب الوقوف لأنه دعوة اسلامية أخلاقية ثم وضع نظام لهم في التعامل كى يبقى الود بينهم والحب فيهم والإيثار من شيمهم .

ولا يفتأ الإمام في كل حين أن يذكر المتعلمين والطالبين في مقام الأخوة أن يعتصموا بالصراط المستقيم وإياهم والمن بفضيلة أو المعايير برذيلة وأن يخفضوا الجناح للمؤمنين فتلك من أخلاق سيد المرسلين ﷺ ، والاعتصام بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاق النبي ﷺ هو عين المراد من التكليف الشرعية بل هو عين القرية لله تعالى .

على أنه يجدر بنا في هذا المقام وقبل أن نتركة إلى غيره أن نذكر أمرا يجب علينا ذكره وهو أن تلك الأخلاق أو التربية الاخلاقية – سواء في أدب المتعلم مع المعلم أو أدب المتعلم مع المتعلم – هي بعض قليل مما سطره الإمام ودونه وشرحه في قصائده ومواجهه وهناك غير ذلك مدونات ومطبوعات ومخطوطات لو جئنا بها في التربية الأخلاقية لكانت كثيرة جداً ولكن استقصاءها يحتاج الاعوام بدلا من الأيام .. وخير ما يفيد المسلم أخاه خلقا تخلق به ولا يغرس الخلق في النفس إلا خبير .

ومن مواجيد الإمام ما يعد نظاما راقيا في التربية الأخلاقية ... انظره يقول :

أيا رفقتى بأختى بأختى
ألا فاجتماعا بالقلوب وألغة
وإياكم أخلاق إبليس إنها
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادق
وستراً لعورات الأحبة كلهم
وغضوا عن المكروه أعين عفة
وإياكم وعدوكم سوء خلقكم
توادوا بروح الله بالله وأبدلوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم
الامن يكن في قلبه بعض ذرة
الا طهر الاخلاق والنفس زكها
ألا يأخى بالذل ترقى وترفعاً

تخلق بأخلاق الاله وحافظا
ودع عنك ميلا للحضيض وزينة
وقم داعيا بلسان حكمته الذي
ولا تسع للتفريق واجمع له به
الا سارعوا أحيوا لسنة أحمد
الا اطفئوها باليقين تجردوا
وجدوا وجودوا بالنفوس تحفظا
ألا بعتموا لله مالا وأنفسا
وعلما بأن الدين حسن عقيدة
الا خلصوا الأرواح من سجن نأيا
الا جاهدوا تلك النفوس بهمة
على سنة المختار سيروا بهمة
ويمحو بنا البدع التي عم نشرها
الا فابغضوا من أكد الله بغضه
الا فاحفظوا الاركان : اركان ديننا

على منهج المختار في العقد تنسق
بها اشتغل اللاهون عنه وارتقوا
به قد حياك الله وهو الموفق
عليه أولى التسليم إذ أنت واثق
ففتنة هذا العصر كالنار تحرق
عن الحظ والاهواء فالحظ مفرق
على السنة الغراء فالله خالق
بمفهوم (ان الله) والذكر ينطق
وخلق وأعمال بها الذكر ناطق
وجدوا لتزكية النفوس وسابقوا
تفوزوا برضوان من النار تعتقوا
عسى الله يخبينا به ويوفق
لتشرق شمس الدين والشرق مشرق
أحبوا بحب الله والحظ فارقوا
صلاة ، صياما ، ثم حججا ، تصدقوا

أدِيمُوا لِذِكْرِ اللَّهِ فَالذِّكْرُ نُورُهُ لِأَهْلِ الْهُدَى وَالْغَى لِأَشْكَ فَارْقُوا
الْأَعْظُمَا لِشَعَائِرِ اللَّهِ تَعْظُمُوا بِهَا وَتَسُودُوا فِي الْقِيَامَةِ تَسْبِقُوا. (١)

وهذه أخلاق من أغلى الفضائل ، إذا رعاها الإنسان في تربيته أثمرت ثمرة طيبة
وجاءت بخير للمرء وغيره من الناس .. وعم المجتمع الأمن والسلام .

(١) النور المبين ص ٢١

الفصل الرابع التريية الروحية

الروح فى الإنسان آية العجب ..

فإنسان خلقه الله تعالى متسر بلا بآيتين من آيات الله هما دليل القدرة وآية الحكمة والآيتين هما :

آية الإيجاد وآية الامداد ..

فأما الإيجاد : فذلك الخلق الظاهر من الإنسان الذى يجمع الأعضاء الظاهرة والحواس المشاهدة .. وماحمله من جمال فى تطور مراحل من أول الطين والماء المهين الى تسويته تسوية كاملة ، وصورته فى أحسن صورة صورها والتي تحدث القرآن الكريم عنها كآية للقدرة ودليلا للحكمة فقال تعالى :

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ..
(الطارق : ٥ - ٨) .

وقوله تعالى :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »
(التين : ٤ - ٦)

وقوله عز وجل :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين
(المؤمنون : ١٢ - ١٤) .

فتلك الأطوار والأدوار داعية الى التأمل وحسن التذكر ، وهذه آية الإيجاد .

أما آية الإمداد : فإن الله تعالى . لما سوى الإنسان لم يأمر ملائكته بالسجود إثر التسوية مباشرة لكنه تعالى دعاهم الى ذلك إثر النفخ فيه فقال تعالى :

« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (ص . ٧٢) .
فنفخ الروح بعد التسوية أول آيات الامداد التي أفاضها الحق تعالى على هذا الإنسان
الخليفة .. ويلاحظ هنا ..

أن الله تعالى فصل الإيجاد في أطواره وكرره وعدده . أما آية الامداد الكبرى وهي
الروح فالإخبار فيها يقصرها على الغيب دون الشهادة وأغلق الحق تعالى موضوع المناقشة
المستديرة فيها حين سئل عليه السلام عنها وأجاب الله تعالى في قوله عز وجل .. « ويسألونك
عن الروح قل الروح من أمر ربي » (الاسراء : ٨٥)

وباقى آية الإمداد من علوم للروح وأسرار كونية ومعالم غيبية يذكرها بها القرآن حيناً
فحيناً وامداد للجسم .. كل ذلك يأتي بعد الروح أصلاً فهي دليل على القدرة وآية على
الحكمة ..

الروح في تعريف الامام :

لايكاد كتاب من كتب الإمام أو قصيدة منظومة له تغفل جانب الروح (النفس
الناطقة) فيتحدث الكل عنها في ماهيتها وخفائها وعدم إدراكها .. أو في سعادتها
وسبحانها أو في أحوالها المتعدده .. يقول عنها (في أسلوب محاورة العقل وانبائه المحكمة
الإنسانية كوزير لها في محكمة الصلح الكبرى ..) بأعذب أسلوب تربوي ..

« النفس الملكية محجوبة عن الأبصار ، لأنها مفارقة للمحيز من الآثار ، وتعرف
بأعمالها الحسان ، ولا تظهر جلية إلا في الجنان ، أو لنبي مرسل ، وكيف تظهر وهي من
نور صاغها الله ، لا يشهداها إلا من صافاه . قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (الاسراء . ٨٥) وقد أثبت توكيلي
(العقل يتحدث عن الروح كأنه لها وزير بأسلوب الامام في الكتاب) عنها ، بما لدى
منها ، فأنا وزيرها الأول ، وعلى في شعونها المعول ، فهي كالشمس في رابعة السماء
ونورها مشرق على الأباطح والمنخفض من الماء ، فهي وإن أشرق نورها لاتداني
ولا يدرك أحد حقيقتها ولو فيها عاني ، فاسمع مني بعد التحقق بقولها ذلك عنى فإنى ألقى
عليك بياتي عنها بلساني وجناني .

الروح يا عدل فوق العقل إدراكا لم تدركن وبذاك العقل أنباكا
قد أعجزت وهي من آيات خالقها فكيف تدرك يا مخلسوق مولاك
الروح صيغت من النور العلي فلم تدرك بعقل وهذا العقل أفتاكا

الكل فيها حيارى جل مبدعها سلم لمن بجلى العلم ناجاك
ياعدل تسأل عن روح لقد حجبت صونا عن الحس والتحقيق وافاك
نص القران بأن الروح غامضة من أمر ربك من بالفضل والاك
العقل نائبا والعقل رائدها والعقل غيب وبالاحسان داناك(١)

ويستمر العقل (الذى يتحدث الامام عن لسانه) فى بيان الروح وسرها وعجز
العالم عن دركها ورجوع البصر خاسئا أن ينال شيئا من أنوارها .

ولايعنى ذلك أن الروح فى هذا العالم مقبورة مقتولة وأنها فى الجسم مسجونة معذبة
بل لها أشواق لاتناها إلا بالجسم كما أن للجسم ضروريات لاينالها إلا بمساعدة الروح
فهى مملكة كاملة التكوين وصورة برزت لتدل على نور رب العالمين وسرد من القصائد
والمواجيد ما يجلى الحقيقة أكثر وأكثر ..

وهذا بحق جديد على الفكر . وقد كنا نرى قبرها فى الجسم وعذابها وإذاً من الامام
هنا نرى رقيها وكأها فى الجسم .

بهجة الروح وتريتها

يقتصر الامام الطريق علينا فيبين أن حاجة النفس الملكية يتركز فى الاتصال بعالمها
وبما هو منه من علم أو عمل أو حال .

فإذا نالت شيئا من ذلك أسعدت وتمنت وظلت مبهجة مسرورة ، وإن حرمت تلك
العلوم والأعمال والأحوال شعرت بتعاسة وانتكاسة وحبس وضيق .. فيقول :

« النفس الملكية تواقه الى عالمها العلوى ، تهتلق للاتصال به علما وعملا وحالا .
ولكن الفطر البشرية تحول بينها وبين ما جبلت عليه من الاستشراف إلى علومها ومعارفها
ومشاهدها ، فإذا أكرم الله الإنسان بعالم عامل بجميع الأعمال وعلى الأحوال ، وكانت
قواه البشرية متوسطة لاتحجب النفس الملكية عن شهود علومه وأعماله وأحواله
لاشتغالها بدواع الحظوظ والأهواء البشرية ، فإن النفس يميل الإنسان إلى هذا العالم
تستيقظ من نومها بحظوظ الجسم واشتغالها بأهوائه . فتشرق عليه شمس أنوار الملكوت
وتتكشف له حقائق الأسرار وماعليه العالم العلوى من المشاهدات ، والقيام بالطاعات
والقربات فتحصل العزيمة والرغبة والشوق والوله والمسارة إلى المزيد من العمل ..

(١) بحكمة الصلح الكبرى ص ٦٨ .

وتحصيل المعارف الحقة ، والعقائد الحقة ، والتخلي عما كان عليه من قبيح العمل ، وردىء الإعتقاد ، وسىء الخلق ، وشر الحال فتحصل المنافسة في طلب الخير ، والتجمل بالمعاني القدسية ، حتى يتشبه بالملائكة الروحانيين ، وتدوم منافسته حتى تجلي له حقائق صادقة في نفسه وفي الأفاق فتبدل صفاته وأطواره ومعارفه وعقائده ، وأعماله بالمعاني الروحية حتى يكون روحانيا حقا ربانيا صدقا .. «^(١) ويقول في مكان آخر .

« جبلت النفوس على حب مشاكلها مبنى ، ومضادها معنى ...

فهى تميل الى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب الجمالى وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها بأحاديث مافية من الجمال الذى ليس فى الآخرة فترى الغنى يميل الى الفقير والعالم يميل إلى الجاهل وهى صبغة الله التى صبغ بها الإنسان فإن الله يحب من عباده من جملة بضد صفاته ، وهو التواضع والذل والتسليم .. «^(٢) .

ولو ألقينا السمع إلى هذا المعنى الأخير لوجدنا أن كمال الروح فى هذا الكون ، ولولا الجسم ماسجدت الملائكة لآدم إذ أن روحه سابقة فى عالم الأرواح يوم العهد والميثاق ولم تؤمر الملائكة بالسجود إلا بوجود الروح فى هذا الظل المعروف بالجسد ..

وفى هذا الجسد كان ترقيها بتنزل الشرائع السماوية التى هى بمثابة الهداية النورانية وكذلك تنزل القرآن الكريم والكتب السابقة من قبله . والله تعالى يقول فى حق التوراة
(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ..)
(المائدة : ٤٤)

وقوله تعالى :

« وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور »
(المائدة : ٤٦)

وقال تعالى فى القرآن الكريم :

« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه .. »
(المائدة : ٤٨) .

فتنزل الوحي وهو بهذه المثابة ماكان لينزل على الروح فى الكون إلا وهى فى ثوب التجرد بالجسم المكلف من الله تعالى .. حتى تنال بذلك الخلافة وتعبد الله كما أمر ..

(١) معارج المقرين ٧٥

(٢) الطهور المدار ص٥٢

وهذا الكمال المنشود من العلم والعمل والحال وقراءة القرآن وفهم أسرارهِ والوقوف على أسرارهِ .. مما تنعم الروح به ، وتترقى في درجات القرب من الله تعالى ويحصل لها اللذة الملكوتية برؤيا الجمال الكونى وما فيه من مشاهد عليّة وآيات كونية ناطقة بجمال الله . هذا الكمال هو مانسميه بالتربية الروحية وهى التربية التى نعنينا فى تلك المدرسة على وجه الخصوص .

منهج الإمام فى تربية الروح :

للإمام مناهج عليّة تسعد الروح بمنازلتها من الطهور المدار على قلوب الأبرار وشراب الأرواح من نور الفتاح ، وسعادة الروح ولذتها أن ترى سرا فيما حولها .. أو فيضا من غيبها .. وهذا موجود فى كتب الامام مثل الطهور المدار ، وشراب الأرواح ومعارج المقربين ومحكمة الصلح الكبرى ..

والغذاء الروحى ، والتربية الروحية بحق إنما هى فى القصائد النظمية وهى بحمد الله كثيرة وكثيرة جدا ..

وسنكتفى بها هنا كتربية روحية ففيها الغناء وزيادة .

أسلوب الإمام فى هذا المنهج .

يرى الامام أن منهج التربية الروحية يتعدد ليشمل الأقوال والأعمال والأحوال وأن الأعمال التكليفية كفيّلة بسعادة الروح من صلاة وصيام وغير ذلك فهذا مما تسعد الروح سعادة غامرة ..

وأما الأحوال فهى ثمرة الأعمال والأقوال ساعة تعمل الروح فى الجسم عمل الطاعة أو تسمع من أسرار البيان وأنوار الفرقان مايبحث فيها الأنس والشوق والوجد وغير ذلك مما هو من قبيل الأحوال . كذلك أحوال السعداء تسعد الغير كأن يأنس الانسان بمؤتس ، ويحصل عند التواجد من وجد من يراه ، والقرب من سعادة الغير وهكذا والأقوال : التى يعينها الإمام :

فهى سماع الحكمة المطهرة للأخلاق وسماع الخطب والمواظظ هذا من باب تهذيب الروح وتزكيتها .. فهو يقول عن هذا النوع من التهذيب أنه أرق مراتبه ومنه : « سماع القرآن الشريف بالحن العرب من حسن الصوت ، وسماع الحكمة المطهرة للأخلاق ، وسماع الخطب والمواظظ من معتقد فيه كامل ، ومن قراءة سير الرسل – عليهم الصلاة

والسلام - وخلفائهم وورثتهم ، والعلماء بالله ، حتى تنطبع تلك الحقائق في خياله ، فتصدر عنها أعماله وأحواله وأطواره ، موزونة بميزان ^(١) .

والمواجيد التي نحن بصدد الحديث عنها تعد في هذا الباب أخص تربية روحية متبعة لمنهج الامام ، وبأسلوب عذب رقيق يأخذ الروح حيث عالم النور الذي تصبوا إليه .

وأسلوب القصائد والمواجيد .. يتسق مع التربية في الأمور التالية :

من حيث أن التربية كما علمنا مما سبق لها .. فإن الامام يعنى عناية خاصة في تربية الروح بهذا .. فنرى في المواجيد ..

أولا : بواعث الشوق والحنين الى عالم النور الذى منه بدايتها وكان فيه شهودها وإشهادها في (ألتست بربكم) أى يوم العهد والميثاق على الأرواح بربوبية الخالق تعالى بعد جمعها في صعيد واحد والله تعالى يقول عن ذلك اليوم في كتابه الكريم : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (الأعراف : ١٧٢)
ولذلك نرى الامام دائم الذكر له فيقول : ^(٢) .

ترأى لى عهد ألتست عينا جذبت به اليه بصدق رقى
سمعت ألتست كشفا فى اتصالى به ورأيت نور الوجه فوقى
تجلى ظاهرا فى الكون حتى به أفنى شهودى حال محقى
أنا سترت ولاح الوجه نورا فأثبتنى له عبدا بعقتى
ألاحت لى ألتست ضيا المعالى أمامى الفرد فى جمعى وفرقى
وفى هذا القسم كثير من المواجيد .

ثانيا : ويتصل بهذا المقام مقام آخر فى مواجيد الامام وهو :
ذكر النشأة والنشوة عند ذكرها . حتى نرى للروح انتعاشا وطربا ينعكس على الجسم .. وأمثلة ذلك كثير فى المواجيد :
ومن قصيدة طويلة أولها .. (أشتاق لى وأنا فى حيلة المبنى) يقول : ^(٣) .

(١) شراب الأرواح ص ١٣٠ .

(٢) الطهور المدار على قلوب الأبرار ص ٥٦ .

(٣) من المواجيد المخطوطة للإمام .

أواه لى لوعة للبدء دائمة إذا تخيلتها فى سدرى أفسى
كل الوجود معنى فى مشرقة مسخر لا لأركان ولا مبنى
لى لوعة وهيام لايفارقنى إن شمت منها وميض اللامع الأهنى
فى هيكلى صورة تنبى بمبدعها لكنها حجت بحضيضها الأدنى
أشتاق رؤيتها لو أنها رفعت عنها الستائر حتى تظهر المعنى
فى هيكلى وأنا أشتاقها أبداً وان لاح نور وانشاد لها غنى

وأسلوب التربية يجعلنا نقف أمام المواجه لنعرف مراقبها ومراتبها كاساس فى التربية
الروحية عند الامام :

المواجه القلبية

وهى قصائد نظمية تجمع المراتب وتبيح المطالب تتحدث تارة عن نور كان ، وتأخذ
أخرى فى أسرار يكون ، وتارة فى غوامض كن .. إبرازا معنى الوجود وإخبارا بأسرار
الشهود ، وتنطق مرة عن الوهم المتجرد عن الحيطات ، وتخبر عن الخيال السابح فى
المكونات ، حتى تتكلم النفخة القدسية عن حظائر الغيب المصون ، وتنطق الروح
الكلية من أسرار الكون المكنون وتجعل الكون كأنه حان يتناول الانسان منه معنى
محبه ، وينال فى شهود معناه حقيقة وصلته وتقيم مرة أخرى محاورة بين الروح والجسم
فيتكلم كل بقدره ويفخر كل بمقامه ويحسب السامع أن الناطق معجز ، وأن الحججة
للمتكلم حتى يسمع الأخرى فتختار النفوس من هذا الغيب الجلى والحيرة الأشد أن
تذكر الروح منازلها وتعلو بأقدارها وتسمو فى مراحلها حتى تشهد الغيب المصون
وتحسب حين تسمع أن الجسم لايقف أمام هذا السمو ، ولاينال درجة فى هذا الرقى
فاذا به حين يتحدث فى هذه المواجه وتلك القصائد المنظومة كالعقد الفريد والنور التليد
يسمو نورا يعجز الروح أمره ، ويقهرها سره فتصفق الحقائق فينا عجا لهذا الطين الذى
صار نورا وهاديا . وليست المواجه فى ذاتها نظما لكلمات واختيارا للقوافى والمقامات
بل هى غيظ من فيض يجرى على حسب الرتب السمعية والقلوب الهنية التى تسمع
فتكتب ، وتكتب فتعقل وتحفظ .

وماهو فوق الأسرار فلا تبديه الحروف ، ولاتكشفه غوامض الكلمات والامام فى
كل حال ينادى أبناءه أن يحفظوا السر عن غير أهله خشية أن يبذلوه رخيصا فيججده
الجاحدون وينكره المبطلون وهو أسمى من أن يرد وأغلى من أن يجحد : فيقول لهم :

احفظن سرى فسرى لايباح من يبح بالسرى بعد العلم طاح
علمنا فوق العقول مكانة .. كيف لاوهو الضياء الغيب الصراح
خصنا بالفضل فيه ربنا .. ذاك سر غامض كيف يباح؟

المواجيد ومرتبة الواجدين :

لانجد كتابا خلا من بيان أساس التربية عند الإمام أبى العزائم فهو كثيرا مايشير وأكثر
مايقول أن أساس هذه التربية هو « ماكان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم
باحسان رضى الله عنهم جميعا وأساسه مقام الإحسان بعد مقام الإسلام والإيمان ،
والسالك فى هذا الطريق يجب أن يكون محصلا مالا بد له منه من العقيدة الحققة ، والعلم
بأحكام العبادات والمعاملات والاخلاق ، كما هى سنة الراشدين وكلما حصل فقير من
آل العزائم مالا بد له سمح له بدخول الخلوة » وكل أخ أقمناه لخدمة الفقراء فى كل بلد
لايقام هذا المقام الا بعد صحبتنا الزمن الطويل ليتلقى منا مباشرة بالعلم والعمل وبالحال
مايجب أن يكون عليه فان لنا دروسا فى الأوقات الجامعة للإخوان نشرح فيها قواعد
الاسلام وحكمة الاحكام ثم لنا مع الخاصة إشارات توحى الى مشاهد التوحيد العلية
وشرح مواجيد ناتجة عن التمكين فى المقامات ، حتى يكون للمبتدىء الماء ، وللسالك
اللبين وللواصل الشراب الطهور ، وللمتمكن العسل المصفى ، الذى فيه شفاء للناس كما
قال تعالى :

(فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة
للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى) (محمد : ١٥)

وكل خديم فى بلد خالف منهج المرشد ، أفسد على الفقراء أحوالهم ومامن أخ صحبنا
الا وهو على بصيرة من تربيتى للفقراء .^(١)

ولهذا جاءت القصائد والمواجيد :

(١) آداب وأخلاق تهدى المرید الى صحة الطريق التربوى وتجميل له الشرع الشريف
فى نظم سهل يسير حتى يكون على حفظ بمرتبته عالم بدرجته غير متجاوز للشرع
الشريف ، بدعوى أو بضلال .. مثال ذلك ماتقدم من المواجيد فى السير والسلوك
والتربية والأخلاق ، والإخوة والمحبة ومن ذلك .

(١) نيل الخيرات ص ٢٧ الطبعة الحادية عشر .

السير سير السالك الأواب
 في الروض حصن الشرع يسلك ناظرا
 حتى يشاهد مشهد التوحيد في
 بدء الطريق رعاية للغيب . في
 يسقى مدامة غيب قرآن الهدى
 فوق الصراط بصحة الآداب
 للحق لالظواهر الأسباب
 عين اليقين بصحة الأحباب
 حل وترحال حضور غياب
 يعطى الولاية بعد رشف شراب

والقصيدة طويلة في الآداب والسلوك^(١) وايضا :

الحب في الله نور يشرح الصدر
 والحب في الله معراج الوصول له
 الحب أسعدنا والحب قربنا
 والحب في الله سر يرفع القدرا
 من يعشق الله بالمحوب قد ظفرا
 بشرى لنا فجمال الوجه قد ظهرا
 وهناك قصائد كثيرة مطبوعة والكثير مخطوط في هذا الباب .

(٢) قصائد ومواجيد في النفس وتربيتها وتزكيتها والجهاد والمجاهدة .. من ذلك^(٢) .

نفسى هي الكنز فيها سر معناه
 جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها
 نفسى مثال تراء لى به وضحت
 نفسى له صورة تنبى مشاهدها
 وأيضاً^(٣)
 بغير كيف وفيها نور مجلاه
 وعلمها كشف حجبى فهم معناه
 آياته وبها أعطيت جدواه
 اذا تحقق أن المبدع الله ..

هي النفس اللداني تحن وترغب
 هي النفس تهوى حظها ولو أنها
 وأيضاً^(٤)
 وللعاجل الفانى تميل وتطلب
 أضاء لها التحقيق من ذاك تهرب ..

جاهد نفوسا فيك بالشرع الامين
 غل وكيد من حسود ماكر ...
 هذا اللعين به الهلاك فخله
 واحذز قوى الشيطان في القلب كمين
 ظلم العباد بنينة في كل حين
 أسرع الى القرآن في الركن المكين

قصائد في الأحكام وحكمتها والعبادات وسر تنوعها من ذلك قوله في الصوم^(٥)

(١) دستور السالكين ص ١٠٣

(٢) معارج المقربين ص ٦٦

(٣) معارج المقربين ص ٧١

(٤) دستور السالكين ص ٩٦

(٥) مواجيد شهر رمضان سنة ١٣٥٢ هـ

رأى جسمى لدى صومى العبودة فأشهدته الصيام به وجوده
دعاه الصوم للتجريد حتى لقد فك الصيام به قيوده
وفى العشرين من صومى تراءى بفجر النور فى نفس عهوده
فكان الصوم لى تركى لتركى فصالحنى به ونقى صدره
فليت الصوم لى عاما طويلا أعالج فيه من طبعى جهوده
أعاد الصوم لى بدئ عيانا فصرت النور لأدرى حدوده
وصار الوصل لى عين ايجاد فسبحان الذى أعطى مزیده
مزيدا بعد ايجادى ومنحى عطايا الفضل نعماه وجوده
وفى الحج :

أحج بالروح للمجلى وأشواقى تنمو الى البيت فى حيطات آفاق
(٤) رتب الوجود ومقام الانسان بين هذه الرتب :

إذا تكلم عن الذات الأحدية فانه يظهر هذا البيان متضمنا معانى القرآن الكريم فليس
أوضح أو أكمل أو أجمل من عرض الذات الأحدية المنزهه فى غيبها عن مدارك العيان
والله منزه عن التنزيه وهو فى تنزيهه خاف عن الإدراك وفى بطونه ظاهر فى كل مكان

ففى قربه ظاهر لا يخفى :

كيف يخفى والكون علوا وسفلا مظهر له يلوح مثالا
كل شىء أراه فى الكون يبنى بمعانى توحيدده اجمالا
وفى ظهوره منزه لا حلول ولا اتصال :

هى فى كثر العما ليست ترى ان تجلت أصعقت أهل الكمال
والجلال لها سجاج مانع عن حماها كل روح أو عقال
نزعت عن أن يراها غيرها أشرفت بالاجتلاحال انفصال
مظهر لنا يجلى أنوارها نزعتها عن حلول واتصال

والانسان والكون ظاهرا قدرة الذات : (والكلام على لسان القدرة الإلهية)

تلك المظاهر والشئون مرأى فيها يلوح لمن صفوا أسمائى
فالعارفون يرون سر تنزلى والجاهلون مراده آلانى

وقوله :

ظهورك بالآيات في الآثار
تجليت أبدعت العوالم كلها
نظرت بعين الرأس في الكون لاح
نظرت بعين القلب في الآي فاحجت
نظرت بعين الروح والوجه مشرق
وها أنا أدعوا الله جل جلاله
وأخرى^(١)

معالم الكون آيات تبتئنا
وفي السموات والأرضين آيته
شهدت علانية للناظرين لها
وبرهنت لذوى الأبواب قائلة
لسنا بحجب ولكننا دلئلته
عن سر غيب بدا منه لخالقنا
لأحت لأهل النبي جهرا تفهمنا
وأشرقت شمسها تنبى بموجدنا
البحق لاح جهارا شاهدته بنا
تبدو شمائل أوصاف العلى عنا

ثالثا : الانسان :

وهو من بدايته في اللف يشهد عبوديته وكذلك في مراحل حياته بعد ذلك فيقول^(٢)
في (ألست) كما مر ذلك من قبل :

قد أدبرت للروح يوم أَلَسْتُ
آه روحى لها تحن دواما
حيث لاكون بل ولاأين يخفى
الى أن قال

كنت نورا يضىء قبل أَلَسْتُ
آه والروح في هيام ووليه
(وسقاهم) قد هيمنى فروحى
وهى بدء للحسن والتقييح
لعلى منزهه سيروح
في هيام للكشف والتصریح

(١) النور المبين ص ١٧٥ .

(٢) ديوان عام ٣١ ، ١٣٣٢ هـ ص ٨٠ .

ومن أول الرتب الإنسانية إلى آخرها تقع المحاضرة بين الروح حيث كانت بدايتها من نور تشهد الأنوار فلما جاءت إلى الكون حجبت بالجسم ، ويرى الجسم غير رأيها وتقع المحاضرة والمحاورة في أسلوب بديع فيقول الإمام في ذلك :

لى غرام من نشأتى الأولية حين واجهت وجه رب البرية
لاح لى الوجه فى سما الروح أجا ذاغرام الى المعانى العلية
كنت روحا أشتاق والنور حولى صرت جسما فى دار دنيا دنية
ظل كوفى قد حجب الروح ويجى عن شهود الاسرار فى الصمدية
كيف صبرى من بعد رؤية وجه فى صفاء عن صورة المثوية
أنت يا جسم قد سترت حبيى صرت يا جسم للقريب بليه
خل روحى تفر لله إنى فى هيام للوصل للأحدية
قال الجسم

صاغنى الله رنى باليدىن فاشهد جمال العطية
صاغنى الله باليدىن وأنت بى نلت طهوره الأحمدية
حتى يتم الصلح

قالت الروح أنت يا جسم رقى أشرفت فىك شمس الأولية
وغير ذلك من أشجار وأنهار وماء وسماء ورملى وحصى وزرع وضرع كل ذلك له
عند الإمام مشاهدة وفى المشاهد رتب تلوح ..
وغير الغير من رتب الاحوال والمقامات وذكر البدايات والنهايات ،

أهل الوفا قصدهم روضات جنات أهل الصفا قصدهم مجلى كالات
أهل المحبة بالمحبوب سئلهم ذكر وفكر حضور فى البدايات
والعاشقون جمال الوجه قصدهم كشف الحجاب بمعنى سرايات
أهل العزائم عشاق لخالقهم لم تلهم عنه أعلام الكرامات

ولا نستطيع هنا أن نحصى أو نستقصى القصائد عدا .. فأمر ذلك يطول وهى آلاف
مؤلفة ، ومجلدات مخطوطة تعد أكثر التراث ، وأعمه .. ولها فى التربية الروحية طرق
وأصول منها تسعد الروح وتنها .

هذا وان من المؤلفات للإمام ماتسعد الروح به كثيرا ويعتبر الأصل فى ذلك . إلا أن
هذا بجانب المواجد قليل وقليل جدا .. وإن كان كثيرا جدا بالنسبة إلى غير المدرسة ..

الفصل الخامس التربية الإجتماعية

نعنى بالتربية الاجتماعية ، ما يتعلق بالفرد والجماعة في فكر الإمام وما يتعلق منه بالتربية والإجتماع على وجه الخصوص .

والإمام لا يرى في الدعوة اختصاصا . بجماعة دون غيرهم . صحيح أن للداعية تلاميذ ملازمون له . فهو يخضعهم ببعض إشاراتهِ وعباراته . لكن ليس معنى ذلك أنه بهذا مقصور عليهم .

فليس من صفة الداعية الى الله تعالى أن يقصر دعوته إلى أهل إرادته وبنى ملته ، إذ هو مكلف بالدعوة العامة التي تجمع من يحب ومن يقلى ماجاءوا في ثوب واحد هو ثوب المدعو ، ولا نقول أن يواخيهم أو يتعلق قلبه بهم فذلك خاص على أهل الاجابة منهم ثم إن أهل الإجابة أيضا ليسوا في درجة واحدة والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبله كيف يشاء فالحكم فيما يملك من الدعوة وحكم تبليغها وان الطالب الصفى ليغار على نفسه أن يقرب منه أو يقرب من غوى حفاظا على نفسه وصونا للآداب ..

ولكن الكمل من الرجال ، ومن تحلوا بحلل الوراثة وتجملوا بجمال الهداية ممن حفظهم الله تعالى وأخلصهم له وجعلهم من الذين ليس للشيطان من سبيل اذ هم عباده وأولياؤه وأحباؤه وأصفياءه ومحل نظره من خلقه يراقبون الحق في الخلق فيعاملوه سبحانه فيهم من غير حلول - أستغفر الله - أو شبهة ذلك إنما هم متبعون لاكمل الرسل ﷺ ومتجملون بحاله ..

فدنوهم من الخلق على قدر قربهم من ربهم وشهودهم جمال وليهم .. حالا ووجدا ودعوة وقربا .. وتلك لا ينبغي أن تكون لغيرهم أو فيمن سواهم ..

معنى الأخوة

إننا نجد الإمام في تفسير ذلك قد حاز قصب السبق في الوارثين فنجده يقول : « أريد بالإخوان : كل الناطقين معنى بـ « لا اله الا الله محمد رسول الله » المتفقون معنى على

التصديق بما أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ المؤمنون باليوم الآخر وان تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله . وذوق معانيها وانبلاج أنوارها ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التي يمن الله بها على كل أخ مؤمن من الفطنة والذكاء والنور والفقه ، المعرفة والعناية والتوفيق لعمل تركية النفوس ، والقربات ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة وعلوم اليقين فان هذا التفاوت وان أدى الى اختلاف في مشاهدتهم وأحوالهم وخصوصياتهم ، بالنسبة لما يمن الله به عليهم من مزيد الايمان الا أننا والحمد لله جميعاً نمثل أبناء والد واحد ، ووالدة واحدة ، كلنا بارون بوالدينا ، لانشك ولا نرتاب في صحة نسبنا اليهما الا أننا نتفاوت في السن وتفاوتنا في السن لا يؤدي إلى إختلاف بيننا وخلاف ، بل كل واحد منا - وان كان رضيعاً - هو أخ للآخر - وان كان كهلاً - حظه من والديه مع طفوليته كحظ الكهل منهما . نسباً وميراثاً وحقوقاً الا أن الصبي يعظم أخاه الكبير بالإقتداء به ويتلقى علومه ومعاونته على النفع العام . والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته على الخير ، وتربيته على مابه سعادته وسعادة اخوانه وموالاته بما لا بد منه من غذاء الجسم أو الروح أو تركية النفس» (١) ...

هذا معنى الأخوة في الله تعالى واعتقاد أن كل من قال لا اله الا الله أخاه له حق في الأخوة عند أهل الفضل منهم ..

ويرى الامام من حق الأخوة .. صفات الرحمة والمودة وأخص شيء فيها .

هو الدلالة على الخير ..

وهو معنى التربية .. ولقد وفي بها الامام للعالم الاسلامي سواء كانوا أفراداً أم جماعات ماداموا قد نطقوا بالشهادتين .. ولقد بذل الإمام قصارى جهده في سبيل :

(١) تربية الفرد الإنساني الإسلامى تربية صحيحة تقوم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٢) دعوة الإنسانية فيما بينها إلى التراحم والتواد والمصالحة . وهذا مانعنه بالتربية الإجتماعية .

فأما تربية الفرد المسلم .. فقد سلف ذكرها . وبقي الجهد لتحقيق الأخوة كسبيل لنيل المجد الإسلامى .

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٦٩ .

جهاد الإمام لتحقيق المجد الإسلامى : -

لاينكر ذو قلب سليم عامر بالإيمان أن تلك الجهود التى بذلها وكان يبذلها فى سبيل الدعوة الى الله تعالى أنتجت ثمرة علمية اسلامية من الكتب والمواجد ، وأقامت جيلا يفهم الدعوة بعد أن ترى بها تربية سلفية طرحت البدع وأقامت صرح الدين فى نفسها وأهلها ودعوتها للناس أجمعين بل إن دعوته فوق ذلك قد عمّت حتى نادى على المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة وجمعت تحت لوائها مختلف الأجناس من أهل الإسلام . وذهبت حتى دخلت على الملوك عروشهم وزلزلت الأرض من تحت أقدام المستعمرين ، ونادت على الزعماء بشتى أنواع النداء لجمع شمل الأمة وتحقيق الوحدة والإخلاص لله والوطن ...

ولقد ظهر هذا البناء الإجتماعى الذى ذهب إليه الإمام ونادى به ، ودعا اليه دعوة عالية فى الجيل والناس أجمعين فى كتابه « الإسلام نسب » ، « والإسلام دين الله » ، « والإسلام وطن » ووسائل نبيل المجد الإسلامى وهو دستور إجتماعى دينى تربوى .

مما يدل على أن مرمى الإمام ليس القصد منه فقط تربية جماعة بل هو بناء شامل واعداد كامل للأمة والمجتمع الإسلامى قاطبة حتى يسترجع هذا العالم مجد سلفه وأبائه الكرام المخلصين الذين رفعوا راية الإسلام فى كل مكان باذلين فى ذلك النفس والنفس فرحين بذلك ويستبشرين . ولعل مايدلنا على ذلك فى مدرسة الإمام موقفه من الزعماء الإسلاميين . وموقفه من الخلافة الاسلامية فى مثلين للم شعث ، ووحدة الصف . وكذلك دعوته للامة جميعا لتستيقظ من رقدة الجهالة وتثوب بعد ذلك الى الله تعالى متمسكين به حتى تحيا الأمة فى خلفها كما كانت حياتها الأولى فى سلفها .

ولم يقف الامر به عند هذا الحد بل كان يكشف فى مجلته الأسبوعية (المدينة المنورة) عن حيل الإستعمار والمستعمرين ضاربا فى كل ثورة من الثورات الإسلامية بيده فى جهاد ابنائه ليمحو هذا الأخطبوط المنتشر فى بلاد الإسلام .

ولعل أبرز شئ فى هذا هو اقصاؤه من السودان ، ولم يكن الإقصاء بالحلقة الأخيرة فى جهادة بل كان بمثابة البداية والإستعداد وأخذ الأهبة للسير فى الطريق الأمثل ليكشف القناع عن الإستعمار والمستعمرين أين كانوا ، وأينما يكونون ..

وحصر مواقف الإمام فى كل هذا من الصعوبة بمكان .. إلا أنا سنختار من ذلك قطفا من تلك الأزهار الفيحاء الغنية بها جنته وهى على كثرتها بمثابة الجند على الثغور

لا ينفك جندي عن ثغره إلا خلا موقعة وأظهر بعد ذلك عورة المسلمين ولذلك جاءت متركة مرتبطة في البناء تنادي مرة الأمة وتبعث فيها المجد الاسلامي ، وتحث مرة أخرى الزعماء على جمع الشمل ولم الشعب والإخلاص لله والوطن ، وهي تغذي الثورات الإسلامية بالأبناء المخلصين والزعماء الأحرار ثم تقوم بعد ذلك تجمع الأمة كلها على وحدة واحدة متمثلة في النداء بالخلافة الإسلامية حينما أعلن (أتاتورك) حلها .. ولو أغضب ذلك الملك : على النحو سبسطه فيما يلي : -

أولا : جهود الامام في جمع كلمة الأمة .

اتخذ الإمام وسيلة في جمع كلمة الأمة مستخدما في ذلك ما يملك من أنفاس ، معبرا عن ذلك في كتبه ، ودعوة أبنائه وأتباعه ، وصحيفته ، وجميع الصحف التي كانت تصدر في ذلك الحين ، وأنا نسجل هنا بعض ما جاء في تلك الصحف والمجلات مما يعبر عن تلك الجهود الروحية في جمع كلمة الأمة .

كتب الإمام إلى الأمة ناصحا :

« إلى كل واحد من أفراد الأمة أقدم نصيحتي أنت أيها الأخ عضو من جسد الأمة عاملا لنفسك ولها . فالأمة في حاجة إلى صحتك وعافيتك لتعنيها ، وأنت في حاجة إلى الأمة القوية المنيعة ، لتنال بها العزة ، فالواجب عليك أن تقدم خير الأمة على خيرك الخاص ، وألا تقدم على عمل من الأعمال العامة ، إلا بعد أخذ رأى أهل المشورة والحكمة والتجارب ليكون عملك منتجا للخير العام والخاص ، اذ ليس الشجاع من قهر أقرانه انما الشجاع من قهر نفسه ، لتكون نفسا فاضلة ، عاملة للخير ، وليس الوطني من دفعته غيرته فيعمل على ما يضر الأمة ويمكن الأعداء ، وانما الوطني من عمل الخير لأمتة ودفع شر الأعداء بالحكمة .

« خير وسيلة لنيل الخير أن يثق كل فرد من الأمة بنفسه معتقدا أنه جندي من جنود الوطن فيضع نفسه حيث يكون الخير للأمة فان كان من أهل الشورى فمعهم ، وان كان من أهل التنفيذ فمعهم ، وان كان من العمال الذين يجب عليهم ملازمة أعمالهم الضرورية للأمة لزم أعماله من زراعة أو صناعة أو حرفة أو تجارة . والفساد انما يحصل بقيام كل واحد بعمل مالا يحسن ، وترك مالا بد منه وأهم ما يجب علينا الآن عمله ، تكوين الأمة حتى تكون جسدا واحدا ويكون كل فرد ككل عضو في الجسد وبذلك تقهر أعداءها ولو اجتمع عليها كل من بأقطار الأرض . وأمة لم تعلمها الضرورة فلتتبوعا

مقعدها من الذل ومتى سعت الأمة الى اصلاح ذات البين وعلم كل واحد منها مايجب عليه فعله رقت وعزت .. وقد بينت بيانا للزعماء ، وللأمة جمعاء ، وللهيئة الحاكمة ، وهذا بيان للأفراد ومتى صلح الأفراد صلح المجتمع .. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً (١) .

نشرت جريدة الأخبار مقالا للامام بعنوان « حول الحالة الحاضرة - الدين النصيحة » قال فيه : « قال عليه الصلاة والسلام : لاتزال أمتي بخير ، ماوقر صغيرهم كبيرهم ورحم كبيرهم صغيرهم » . هذا الحديث هو الأصل الذي بالعمل به تكون الأمة كالجسد الواحد الصحيح القوى ، ومتى احتقر الصغير الكبير وظلم الكبير الصغير ، تفرقت الأمة وضعفت وتمكن منها عدوها .

« قال رجال الحكومة : انكم أفراد من الأمة ، وأن ماتتمتعتم به من نفوذ الكلمة ومن واسع النعمة ، ومن الجاه والعزة : انما هو بالأمة ومنها ، فإذا عاديتهم الأمة وهي مصدر الخير لكم وأرهبتموها بالحديد والنار ، قتلتم نفوسا أنتم في حاجة اليها وأضعتم ثقة من القلوب لاغنى لكم عنها . وفتحتم على الأمة أبواب الشرور من الجبن والعمل على نيل السلامة منكم بالمكر والخديعة فيهملوا الواجب عليهم من التعليم والتجارة والصناعة والزراعة ، ويخرج بعضهم على بعض فيتفرقوا شيعا وأحزابا ، وهنا تحصل الطاعة الكبرى وهي :

إما غضب القهار المنتقم فيسلب الحكم من أهله . وإما تسليط العدو الغاصب على الحكومة أولا وبالذات ، فيصير الحكام بعد العزة أذلاء ، وبعد القوة ضعفاء ، وبعد الغنى فقراء وتصبح الأمة مستعبدة بعد الحرية مملوكة بالأعداء بعد أن كانت مالكة ، وهذا هو نتيجة محاربة الحكومة للامة وليست الممالك التي إنهارت والأمم التي اندرست الا بسبب هذه المظالم .

ويأيتها العلماء من هذه الأمة : أنتم سرج الدنيا ومصاييح الآخرة فلا تطفئوا هذه السرج بالطمع فيما يغني والزهد فيما يبقى ، ولا تحمدوا أنوار تلك المصاييح لنيل الجاه أنتم ملح الأرض ، فاذا فسد الملح بالحسد والحقد والحرص فسد العالم أجمع .

قال تعالى :

« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما محورا »
(الإسراء : ١٨)

وليس العالم من حصل أثقال الجبال علما ، إنما العالم حقا من يخشى الله تعالى ، وشر الناس علم اللسان جهول القلب .

ثم نصح طلبة العلم ، والتجار والعمال ، والصناع ، ونادى على رجال الأمة جميعا « يارجال الأمة جمعاء : إن تقليد أوروبا في النظم التي وصلت اليها ، بعد قرون طويلة قلدت فيها سلفنا الصالح رضى الله عنهم حتى نالت ماهى فيه الآن ... تقليدنا اياهم هذا في الاختلافات الحربية سبب الإخطاط ، لاننا في حاجة إلى تكوين قوميتنا بالإتحاد ، والى حفظ ثروتنا بما ينميها لنا ، من رقى الصناعة ، وتقدم التجارة والعناية بالزراعة حتى تكون الأمة غنية بما لديها من أسباب السعادة لا تحتاج معها الى الأجانب في كل أمر من أمورها .

« انظروا ما آلت اليه حالكم .. لقد أصبحتم أحزابا تتطاحنون ، مع أن القصد واحد ، وانما الاختلاف لاسبب له الا الطمع ... أوروبا كثرت فيها الأحزاب ولكن لكل حزب مقصدا خاصا به ، الأحزاب أحزان في أمة تجاهد لدفع العدو الغاصب -

والنفرقة في أمة لاقوة لها على دفع عدوها الرابض في عقر دارها هي موت أبدى فليصح كل فرد من الأمة بكل رخيص وغال لنيل الخير العام وليحقر كل رجل ما يناله من الجاه والسلطان الذى يكون فيه ذله وذل أمته »^(١) .

ولانسى التاريخ الذى قيل فيه هذا المقال وخرجت فيه الصحيفة ، وكيف جاهر الإمام بالعداء للسافر للإنجليز بل ودعا الناس جميعا الى هذا العداء ولا تزال البلاد في قبضتهم ويدهم أن يحوّلوا الدفة فيه كيف شاءوا وعلى أى حال أرادوه ارادة لا يقيدها شعب ولا يحكمها قانون .. ولكن الإمام لا ينسى أن يبدى النصيحة لله والوطن والناس أجمعين .. مهما كلفه من رخيص وغال ، وليس في الخفاء حتى يقال هناك المبرر من التقاه من خوف الحكام الانجليز « فالنصيحة لله الخالق فوق كل الناس من المخلوقين .

(١) جريدة الأخبار بعددها الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، والامام أبو العزائم ص ٢٠٧ وما بعدها .

وتدخل تلك النصيحة للزعماء فيناديهم ... « أيها الزعماء - ليس للمصادفة دخل فيما بلغتموه من ثقة الأمة ولكنكم وجدتم يقظة من الأمة ومطالبة منها بحقها المغصوب . فاندمجتم في مسلكها وتفوقتم في بيان الحق المسلوب . وأظهرتم حماسا وغيره وإقداما ، صادف هوى في نفوس القائمين بالنهضة واعتقادا بأن القائلين يعملون ، باذلين مالديهم من المواهب العلمية والعملية والمالية في سبيل فوز الأمة بمطالبها العزيزة . فقامت من ورائكم ومن أمامكم ، أليس هذا إرجاع المسلم إلى ثقافته الإسلامية وتوجيهه الى الطريق المستقيم ؟

جهود الامام في الخلافة الاسلامية : -

قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في الثاني من مارس سنة ١٩٢٤ م ابعاد الخليفة عن تركيا وتخليه عن الخلافة ... وان كانت تركيا في ذلك العهد الأخير لم تقدم أو تؤخر للعالم الاسلامي شيئا اذا لم يكن في استطاعتها أن تفعل شيئا الا أنها ظلت حتى على الاقل رمزا أمام العالم يحمل معنى وحدة هذا العالم الاسلامي ويحمل معنى فيه ساميا هو الخلافة والخليفة ، فلما أعلنت تركيا اقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة وعن تركيا .. كان هناك أملا عند الإمام في جمع شمل الأمة من جديد تحت اسم الخلافة الإسلامية فدعا الى اجتماع عام في داره التي كانت موئل القصاد من كل مكان في العالم الاسلامي وذلك في الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٤٢ هـ الموافق للعشرين من شهر مارس في نفس العام .

فبين الامام حكم الخلافة شرحا وتفصيلا ، ومواطنها من جمع الأمة وكلمتها في وجه الاستعمار والمستعمرين وابقاء أمة الاسلام قوية لحمل راية الدعوة الى الله تعالى واتفق الحاضرون جميعا على تأسيس جماعة الخلافة الاسلامية برئاسة الامام أبي العزائم ، كما اتفقوا على عقد مؤتمر عام بمكة تمثل فيه جميع الشعوب الاسلامية لتعود الخلافة كما كانت^(١) .

وقد حضر الاجتماع عدد كبير من أبناء مصر والعالم الاسلامي كما حضره مندوبو وكالات الأنباء والصحف الاجنبية والمحلية ، وكثير من العظماء والوجهاء والعلماء وقادة

(١) نيل الخيرات الطبعة الثالثة عشر ص ١٤٦ .

الفكر ، واستمر الاجتماع الى فجر اليوم التالى وأجريت عملية انتخاب لجنة تنفيذية
لجماعة الخلافة الاسلامية ، فكان الامام رئيسا وسعادة على بك فهمى نائبا
لرئيس» (٢) .

وبدى الخلاف بين الإمام والقصر ، واتخذت العداوة بين الإمام والملك فؤاد مظهرا
علنيا ومنع الامام من السفر لأداء فريضة الحج في نفس العام (١)

وظل الامام على اتصال دائم برؤساء لجان الخلافة بالبلاد الاسلامية وظلت الحكومة
في عنادها وحررها تؤلب على الإمام السنة المارقين .. حتى رد الأمير عمر طوسون على
الحكومة فخنست ثم حاكت في الخفاء .

حتى خرج الامام للحج سنة ١٣٤٤ هـ ومعها (٤٠٠) من تلاميذه وأعضاء لجان
الخلافة . حيث كان مقرا أن ينعقد المؤتمر العام للخلافة في مكة المكرمة شرفها الله
تعالى وزادها حرمة وتقديسا .

وكتبت في ذلك جريدة أم القرى والتي كانت تصدر في مكة المكرمة :

فقد جاء في الصفحة الاولى منها خطاب جلالة الملك عبد العزيز في الوفود المجتمعة
وأعقب ذلك محضر جلسات المؤتمر وانتخاب الرئيس ثم بعد ذلك بين عدد الوفود
الحاضرة وعددهم تسعة وخمسون وجاء في هذا البيان : (جمعية الخلافة بوادى النيل
ثلاثة : رئيس : السيد محمد ماضى أبو العزائم وعضوية السيد كامل عثمان الفقدى من
مصر .. وذكر بقية الأعضاء ونظرا لان الحكومة المصرية لم تشترك رسميا في المؤتمر رأى

جلالة الملك أن يستفيد من وجود بعض العلماء المصريين فانتخب منهم ثلاثة هم
الشيخ عبد السلام هيكل ، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح ، ومحمود على منصور ..
» وكان ذلك يوم الاثنين الموافق السادس والعشرين من ذى القعدة في العام الرابع

(١) الامام أبو العزائم ٢٢٤

والأربعين الهجرى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة صباحاً^(١) وجاء فيها - جريدة أم القرى - في عدد آخر تحت عنوان كبير .

جماعة الخلافة بوادى النيل قولها : اجتمعت اللجنة العليا التنفيذية لجماعة الخلافة بوادى النيل مساء الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ برئاسة حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد محمد ماضى أبى العزائم بمركزها بالحنفى بمصر .. وفيها أن الشيخ حافظ وهبه مستشار عظمة سلطان نجد زار لجان الخلافة الفرعية بدسوق وبلغ الإمام ثقة السلطان ومحبه له ذلك فى يوم السبت الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ^(٢)

كانت تلك الثقة والمحبة قبل انعقاد المؤتمر العام للخلافة الاسلامية بمكة المكرمة ... وهكذا ترى جهود الامام لاينال فيها حظا دنيويا فقد كفاه ثقة العالم الاسلامى فيه بكل زعمائه البررة المخلصين .

ثم أصاب المؤتمر بمكة فتور وانقسام فى جلساته وبات ذلك واضحا فلما عاد الامام من الحج عاود اتصالاته بزعماء العالم الاسلامى وجددوا الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامى بمدينة القدس وحددوا لذلك اليوم الأخير من عام واحد وثلاثين وتسعمائه من الميلاد ومنعت الحكومة المصرية اعطاء تأشيرة للامام ومنعته كذلك من الاتصال بالزعماء الاسلاميين .. لكنه التقى بهم سرا فى طريقهم الى القدس وانهقد المؤتمر فى مواعده وكان نصيبه كسابقه^(٣) .

ولم يكن فى هذه الأعوام منذ أن حلت الخلافة الى هذا المؤتمر الأخير بالقدس للامام فى نصبه وكده وجهاده الا وجه الله تعالى ووجهته الرضوانية ، ولكى يقوم الأمر هذا بالنظر فى دعوى المسلمين الى تقوية روابط الاخاء الاسلامى والعمل لخدمة الحرمين الشريفين .. وأنت تعلم ياأخى أن العامل اذا كان مع الله تعالى ولله سبحانه ظفر بمقصوده وفاز بمراده ونصره الله ورزقه من حيث لا يحتسب ..

(١) جريدة أم القرى .. الصادرة بمكة المكرمة يوم الجمعة ٢٦ / ذى القعدة سنة ١٣٤٤ العدد ٧٥ .

(٢) جريدة أم القرى الصادرة بمكة المكرمة فى ٢٢ يناير ١٩٢٦ م العدد ٥٦ /

(٣) مجلة السعادة الأبدية العدد الأول السنة السابقة ص ٢٣

وهو خيط يدفعه الامام لتربية أبنائه صبورا ومثابرة في الحق من غير أن يكبر المرء غير الله تعالى أو يرى لغيره من ظل في تلك الدنيا الزائفة : ولعل هذا يفيدنا في باب التربية في كثير من الوجوه لامن وجه واحد .. صبر ومثابرة ، وجهد ومجاهدة ، ورحمة بالمؤمنين ورأفة .. وجمع لكلمة الأمة وتوحيد لصفها في سبيل الله .. وفي وجه الأعداء والمعتدين .

الاصلاح العام فى المجتمع الانسانى

تمثل المسرحيات التى وضعها الامام مع جملة كتب الاسلام دين ووطن ونسب وغيرها برنامجا خاصا للاصلاح العام وهى جملة من القصص الاجتماعى الفرضى يرمى به الامام الى الاصلاح العام للمسلمين ، ويكشف لهم عن أنياب المدنية والحضارة التى يدعيها الغرب بعد تجردهم من الدين والحياء .. فيعالج الامام النفوس بأسلوب الحكيم عن طريق أشخاص فرضية يختارهم ثم يقوم كل واحد منهم بعرض منهجه ومعارضته للمناهج الأخرى ويدافع كل على منهجه .. ويطول الخصام والجدال واللجاجة والمعاندة حتى يوفق الله تعالى أهل الحق فيظهرون للفاسد فساده ويرغبونه في الهداية .. حتى يتم الصلح وتتحقق الهداية العامة للناس .

وهذه طريقة لمعالجة الفساد بين الناس لكنه يأتى بطريق غير مباشر .. ولايتوقف جهد الامام عند هذا الحد .. حتى يبين للمجتمع الإسلامى الأضرار القادمة عليه من هنا أو هناك .

موقف الامام من دعوى الاشتراكية والعلمانية :

كتب له تلميذ من تلامذته شخص إلى أوروبا برسالة جاء فيها :

« وعلى هذا فليس هناك أى تنافر بين الاشتراكية والاسلام ، وإذن فقد كذب الذين يستندون الى الآية (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) (الزحرف ٣٢) لتثيبتهم الطبقة العاملة بحقوقها وتبرير حالة الذين يرثون المال ، فيأخذون في انفاقه على العاهرات ، وبائعى الخمور متخذين من تركيز الثروة فى أيديهم قوة ووسيلة لاتلاف أخلاق الوسط الذى يعيشون فيه ... » .

وأجابه الامام برسالة في اثنتي عشرة صفحة حاء فيها ..

« ليست الاشتراكية هي الإسلام ، وليس الاسلام هو الاشتراكية .. الاشتراكية فلسفة ومذهب إنساني من وضع الإنسان الذي لا يبرأ من الخطأ والغرض والطمع مهما حاول أن يكون قريبا من الصواب .. فتلك طبيعته .

اما الاسلام فهو دين سماوى ، ونظام إلهى ، ووضع ربانى ، فهو أبقى على الدهر وأقرب للعدل لأنه يأمر بالمساواة وينهى عن البغى والعدوان . لأنه يقوم على التوحيد ، ووحدة الألوهية تحو الشرك ، وإن الشرك والطغيان متلازمان ، وليس فى رسالة الاسلام أدنى عيب إنما العيب فى المسلمين أنفسهم ، وما زال الاسلام على حق بتعاليمه محفوظا فى كتاب الله وسنة نبيه ، وهو حاكم على المسلمين غير محكوم عليه بأعمالهم . الإسلام يولد قوة الإيمان التى هى بمثابة الوقود ، وعمل يحرك الآلات نحو غايتها السامية المرسومة لها ..

« ... وحقيقة الأوضاع التى تراها الآن فى المجتمع الاسلامى الكبير ان الاستعمار فى شكله الحديث عمل فى أولى مراحلها ، على تعميق هوة القديم الموجود امامه من الشعبوية والعصبية فى المجتمعات الاسلامية المتفرقة ، حيث وجد مجتمعا اسلاميا ضعيفا ، وعرف الاستعمار أن سر ضعفه يكمن فى حزبته وشعوبيته فلم يكتف بالقديم منها وإنما أثار نزعات جديدة بين الأمم الاسلامية ، لتتسع الهوة الفاصلة بينهم ، وتزيد شقة التباعد فتكون نتيجتها التحاسد والأحقاد ، فيحكم بينهم المستعمر بغير ما أنزل الله ، ومن أجل هذا المخطط الشيطانى ، حمل حملة شديدة على القيم الاسلامية ، وهجم على الدين الاسلامى هجوما عنيفا حتى يضعف الوازع الدينى لدى الناشئة ، ويُشكك بالإئمة فى دينها . ثم كانت مرحلته الثانية بالإبقاء على المسلمين وقودا بشريا واستغلالا اقتصاديا ، واستعمارا فكريا يربطهم بدائرة التبعية الفكرية الغربية ، وهذه هى مرحلة توطين الاتجاه الفكرى العلمانى الغربى الذى يقضى بفصل الدين عن الدولة ، وهو ما طبقته أوروبا الرأسمالية وبدلا من أن يعود المسلمون الى دينهم الذى يضمن لهم العزة والمجد والرفعة ويدرسون سر تأخرهم ، وجمودهم ، راح فريق منهم ومن خيرة شبابهم يأخذون بالمذهب الماركس . وهو المذهب الذى ينكر الأديان صراحة ، ولا يقل عن الاتجاه العلمانى عنفا ، فى محاربته للقيم الاسلامية ..

فمتى يولدنى يفتيق المسلمون فينظروا الى ماداسوه بأقدامهم من جواهر التعاليم

متطلعين الى صخور ورمال لا تؤدي الى شيء ولم تخلق لهم ، لأن الحق تعالى ما اختار المسلمين عبثا . وإنما اختارهم لرسالة الإنسانية جمعاء فوضع لهم النظام الذى ينفعهم وينفعها .

إننى لم أفقد الأمل فيكم بعد .. فانهضوا يا بنى لرفعة الأمة على دعائم ثابتة قوية من الأخلاق الفاضلة الاسلامية .. والله معكم ... » (١) .

فالمذهب العلماني والإشتراكي مذاهب فكرية مضادة للإسلام ، والداعى إليها في المسلمين شيطان مارد لا يريد إلا تفريق الجماعة وفرقة المسلمين ..

والامام فى سبيل التصدى لأعداء الدين وخوفه على الأمة الاسلامية وحرصه الشديد على أبنائه فى الغرب كثيرا ما كان يكتب وينادى ويراسل ولا يترك شاردة ولا واردة مهما كان قائمها .. والقارىء فى تاريخ الامام وحياته ومجلاته المدينة المنورة والسعادة الأبدية يجد من ذلك الكثير والكثير .. وهذا مؤلف وحده .

رأية فى الحضارة الأوربية :

كانت أول البلاد الاسلامية التى نادى بالعلمانية وأخذت بها وسارت فى موكبها وأغرقت الشباب بهذا الفكر الغربى هى تركيا .. التى كانت فيها الخلافة والخليفة فسبحان مقلب الأحوال .. وكانت الدعوى التى تدرعت بها تركيا ممثلة فى (كمال أتاتورك) ساعتها هو النهوض بالدولة وأبنائها حتى يلحق بالركب الأوربى الذى فاتته قطاره من زمن بعيد .. فانتشر فيها الخمر ، وأبيحت المحرمات فكتب الامام الهم ونشر فى الصحف والمجلات تحت عنوان « الدين النصيحة » الى الأمة التركية وهو مقال طويل ومما جاء فيه ..

« يارجال الترك : أنا لأنكر إننا فى حاجة شديدة الى تقليد أوروبا لاستعادة ما فقدناه وما سلبوه منا من علوم وصناعات وفنون ، ولكننا فى غنى عما هم فيه من الإباحة ، التى تجعلهم أحط من البهائم السائمة ، والإسلام وسع لنا فى أن نقوم بواجب الوقت عند المقتضى لأن العقيدة الاسلامية والعبادة والأخلاق ، بها نيل السعادة والسيادة فى الدنيا وبها الفوز بخيرات الخيرات الباقيات فى الآخرة .

وما عدا ذلك مما لا يغير عقيدة ، ولا عبادة ، ولا أخلاقا ، فأمر مباح : يارجال الترك :

(١) الامام أبو العزائم حياته .. ص ١٩١ .

إن أعداءنا يجب أن ننتفع منهم بما هو خير لنا ، وأن نرد عليهم ردائلهم التي يجرمها الشرع وينكرها العقل .. (١) .

فيرى أنه ليس من عيب أن نأخذ من أوروبا كل شيء ، مادام لا يغير عقيدة ولا عبادة ولا أخلاقا نأخذ منهم صناعاتهم ، وجددهم في العمل ، ورتقيهم في أسباب الحياة الدنيا وإخلاصهم لأوطانهم وحرصهم على لغة بلادهم مهما كلفهم ذلك .. نأخذ منهم اجتماعهم واحترامهم بعضهم لبعض ، وإن وقع جرح فيهم سارعوا فيه حتى يلتئم .. أى أننا نأخذ فضائلهم ونترك ردائلهم إذا كانت تلك الفضائل على الشرط المذكور (لا تغير عقيدة أو عبادة أو أخلاقا) .

أما إذا حصل العكس فتلك النكبة ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين .

والإمام يحث الزراع على زراعتهم والصناع على صناعتهم والتجار بالصدق في تجارتهم كى تنهض الأمة فتكون حضارتها أسبق من حضارة أوروبا قديما وحديثا . ومن قرأ كتاب النور المبين ، وجد لكل نوع من هذه الأنواع التي تكون الأمة رسالة خاصة بهم تحثهم على الخير وعمل البر والجد والإجتهد حتى تسعد الأمة بهم ويسعدون بها .
ومما قاله الإمام نظما نجعله مسك الختام في حث الأمة على النهضة بل والنهوض بأبنائها . وقد رأى طائفة تطير في الجو ..

أبرزى قدرة الله العجب	أيقظى للجد أبناء العرب
ذكرينا قدرة الله بما	أنت أوليتيه من قبل الطلب
أيها الطائر في الجو السح	للنهي سرا يرى فيه الأدب
أدى الأنفس قدرة ربنا	كى تفك بها النفوس بلا تعب
تحت ذا الترب المعادن نعمة	سخرت للعقل والمولى وهب
ديننا الإسلام يهدينا الى	أن مافى الكون للعلم سبب
أيها الطائر في الجو بلا	دافع أورافع إلا النسب
جئت تسعى من لدى ألمانيا	تسبق الريح فلا تخشى عطب
شق أجواء وأرجاء وطر	كى تنال بقدرة الله الإرب
ديننا الإسلامى أحيانا بما	فيه من علم مما عنا الوضب

هذب الأنفس والجهل حجب
ظلمة حلم وفي شر النقب
يصنعون من الحجارة والخشب
قربوا للنار والنهر قرب
أنفسا للرشد من عجم عرب
في آية الخيرات أسرار عجب
كنز علم للصناعة والأدب
جيش أهل الغرب منا قد سلب
نيل مامنا العدو قد اغتصب
في افتراق في اختلاف في كرب
يحملون العلم عنا في رهب
فالصناعة كنزها فيه الطلب
باتباع الدين فالشرع كتب
فاختلاف القوم داع للعطب (١)

قد محا الإسلام عنا ظلمة
قبل خير الرسل كان الناس في
كان أهل الأرض عباداً لما
يعبدون النار والعجل وكم
نور القرآن ألبابا هدى
نهضة العالم بالقرآن
أذكروا يا آل ألمانيا لنا
جددوا يا أمة الإسلام ما
أرجعوا للدين واثقفوا على
يابنى الاسلام طالت رقدة
كان أهل الغرب أتباع لنا
فانهضوا بالدين خلوا فرقة
طالت الرقدة قوموا قومة
طهروا الأبواب من شحنائها

الخاتمة

هذا هو المنهج الذى سلكه الامام فى التربية . وهو بحق منهج سامى وراقى إلى حد بعيد ذلك لأنه لم يجنح بالطالب إلى حد الجمود فى الفكر .. فيقعده على أثر من غير عين أو يوقفه على نص بغير فهم . أو يعطيه فهما خاطئا يجنح به بعيدا عن الحياة التى يحياها الناس . أو يحياه حياة لا ترضى الله تعالى وتغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغرب الطالب عن يومه وأمسه . وعن أهله ونفسه . ولا عن قرآنه ودرسه ، ولا عن نهج الحياة التى كان يحياها النبى صلى الله عليه وسلم . فكأنها - التربية - حياة القرون الأولى بأسلوب العصر الحديث .. وقيام الشرع الشريف بخدافيره فى جسد المترى ونفسه فى هذا الحين .

والتربية عند الإمام ليست تابعة لمنهج فلسفى ، أو فكر غربى ، أو خلوة صوفية أو فنون أخرى تدعى أمرا ولا تجد أثرا ، وتزعم أصلا ولا ترى نصا ، وتبنى قصرا وتهدم مصرا ، بل كان منهج التربية عنده واضحا ، سهلا ميسرا ، يقبل القاصى والدانى بأسلوب يأخذ الجميع بسلاسته وعذوبته ، ومعنى يعجز الانسان أن يصفه حتى يذوقه فإن ذاقه عرفه ، وإن عرفه صار له منهجا متبعا ، وسبيلا مدروسا .

فالتربية عنده ؛ بلوغ الإنسان درجة من الكمالات النفسانية اعتقادا وخلقا وعملا وحالا وسبيل الانسان فى هذا الرشاد وتلك الكمالات أمور موضحة لا بد منها .. أول ذلك .. استقامة الطريق ..

ونستطيع هنا أن نقف ونوقف الكل على معنى التربية وتخصيصها بهذا البيان ... فكلمة الطريق والشرع والمنهج سواء ويعنى ذلك أن المنهج المتبع هو شرع الله تعالى الذى أنزله على خير خلقه ومصطفاه من عباده فقام به وأقام الناس عليه ، واستقامته يعنى أخذه بالجانب المأخوذ من النبى صلى الله عليه وسلم فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا خروج ، وعدم الميل به إلى الهوى والنزول إلى الردى . مع إهداء صحته وزعم النفس على طريقته ، فالخارجة يدعون الشرع وأنه لهم عاصم ، والرافضة تقوم به حجة لهم وأنه للباطل قاصم ، والغالين والقالين . كل يدعيه ويزعم دخوله فيه وكما قال القائل

وكل يدعى وصلا بلىلى ولىلى لا تقرر لهم بذلك

ثانيا : تزكية النفس .. كأرض طيبة ينزل عليها غيث الإستقامة الشرعية فتثمر الاعتقاد الحق والعبادة الخالصة ، والمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة .. ويبلغ الإنسان كماله والوسيلة في الإستقامة ، والتزكية إنما هو العالم العامل والعارف الوارث والمرشدين المرشد الذى يأخذ النفس المريضة فيطبها ويخرجها من عاداتها إلى أنوار عبادتها حتى تذوق الرحيق المختوم من الطاعة بعد أن تجرعت مرارة المعصية قبل ذلك .. وهو يحيطها بسياج واقى حتى لا تتخبطه الأهواء أو يأخذها الشيطان إلى أسفل سافلين ..

وأما أرجاء البناء ونواحيه المتعددة وميادينه الواسعة فكل ذلك عبارة عن الانسان نفسه وعقله وروحه وما ينبع من ذلك من خلق واجتماع .. وبحق فالمرشد إذا جال في تلك النواحي المتعددة ، والقذوة إذا أحاط هذه الميادين بالرعاية والعناية .. فأين يكون للشيطان على العبد من سبيل بعد أن دخل في جملة عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم من سبيل ، « والذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .. وما نالوا هذا إلا بعد رياضة ومجاهدة وتربية جالت أرجاءه ودخلت نفسه وعقله وروحه وجسمه ، وخلقه وجماعته ..

إن المراد من التربية هو بناء شخصية إسلامية لها وزنها وقيمتها بلغت من الكمال الانساني مبلغا لا يميل مع كل مائل ، بل هو إنسان موطن النفس يشعر بذاتية اسلامية ترفعه قدرا حتى مصاف الملائكة .

وإن هذه التربية في هذا المنهج الذى سبق كفيلا بهذا كما رأينا ..

وأسأل الله تعالى أن ينفعنا به وينفع المسلمين أينما كانوا وكيف كانوا ، وأن يغفر لى خطيئى وعمدى إنه خير مأمول وأكرم مسئول .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أم المراجع

﴿ التفسير ﴾

- ١ - أسرار القرآن ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم .. جميع الطبعات حتى الآن
- ٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى .. الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ
- ٣ - لطائف الإشارات ... الامام أبو القاسم القشيري ... الهيئة العلمية للتأليف والنشر
- ٤ - مفاتيح الغيب ... الإمام الفخر الرازى .. ط بولاق ، المصورة
- ٥ - تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ... علاء الدين على بن محمد ابراهيم الخازن ... ط ١٣٢٩ هـ
- ٦ - تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ... القاضى البيضاوى ... ط الأولى ١٣٤٤
- ٧ - تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ... لابن محمد بن عطية الأندلسى ... ط الدوحة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٧ م

﴿ الحديث ﴾

- ٨ - الجامع الصحيح بشرح النوى ... الإمام مسلم بن الحجاج ... ط دار الشعب ، دار التحرير
- ٩ - جمع الجوامع ... الامام السيوطى ... ط مجمع البحوث الإسلامية
- ١٠ - الموطأ ... الامام مالك بن أنس ... ط دار الشعب
- ١١ - عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى ... أبو الطيب صديق بن حسن الحسينى البخارى ... ط قطر

﴿ مراجع في الباب ﴾

- ١٢ - الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ... زكى محمد مجاهد
- ١٣ - الاعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب ... خير الدين الزركلى ... ط / بيروت

- ١٤ - الامام محمد ماضى أبو العزائم ... عبد المنعم شقرف ... ط ١٩٧٢
- ١٥ - أصول الوصول لمعية الرسول ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...
الطبعة الأولى
- ١٦ - شراب الأرواح ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... هامش أصول
الوصول ... الطبعة الأولى
- ١٧ - معارج المقربين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢ ١٣٩٥ هـ
- ١٨ - مذكرة المرشدين والمسترشدين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو
العزائم ... مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٤
- ١٩ - دستور آداب السلوك الى ملك الملوك ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو
العزائم ... ط ٢
- ٢٠ - دستور السالكين طريق رب العالمين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو
العزائم ... ط ٢
- ٢١ - الطهور المدار على قلوب الأبرار ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...
ط الأولى ١٣٤٠
- ٢٢ - الإسلام دين الله وفطرته التي فطره الناس عليها ... الامام المجدد السيد محمد
ماضى أبو العزائم ... ط ٢
- ٢٣ - الإسلام نسب ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١ ، ٢
- ٢٤ - الإسلام وطن ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ١ ، ٢
- ٢٥ - الفرقة الناجية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...
الطبعة الثانية
- ٢٦ - تفصيل النشأة الثانية ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٢
سنة ١٣٩٨
- ٢٧ - عقيدة النجاة ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط ٣/١٣٩٣ هـ
- ٢٨ - هداية السالك الى علم المناسك ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ...
ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- ٢٩ - النور المبين ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
- ٣٠ - وسائل إظهار الحق ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم
- ٣١ - محكمة الصلح الكبرى ... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ... ط الثانية

- ٣٢ - الشفاء من مرض التفرقة... الامام المجدد السيد محمد ماضى
أبو العزائم... ط الثانية
- ٣٣ - بشائر الأخيار فى مولد المختار... الامام المجدد السيد محمد ماضى
أبو العزائم... ط ٢
- ٣٤ - السراج الوهاج فى الاسراء والمعراج... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم...
ط ٢
- ٣٥ - صيام أهل المدينة المنورة... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم... ط ٢
- ٣٦ - تفسير سورة القدر... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم...
ط ١
- ٣٧ - الجهاد... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم... ط ١
- ٣٨ - من جوامع الكلم... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم... ط ١
- ٣٩ - الطريق الى الله... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم... ط ١
- ٤٠ - حديث الجمعة... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم... ط ١
- ٤١ - الجفر... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم
- ٤٢ - الفتوحات الربانية والتمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية... الامام المجدد السيد
محمد ماضى أبو العزائم... ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
- ٤٣ - رسائل الفتوى العزمية فى بيان الوسيلة على خير البرية... الامام المجدد السيد
محمد ماضى أبو العزائم... ط ١
- ٤٤ - الفتوى الشرعية فى بيع أرض فلسطين... الامام المجدد السيد محمد ماضى
أبو العزائم
- ٤٥ - نبيل الخيرات بملازمة الصلوات... الامام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم...
الطبعات ٣ ، ٥ ، ١١ حتى السابعة عشر .
- ٤٦ - جملة فتاوى وردود : على نظرية داروين ،
- ٤٧ - جملة مسرحيات على غرار محكمة الصلح الكبرى
- ٤٨ - المخطوطات ومنها : (المضمون والمكتون)
- ٥٠ - الجزء الثانى من الفرقة الناجية
- ٥١ - موارد أهل الصفا
- ٥٢ - السيرة النبوية
- ٥٣ - القصائد والمواجيد طبع منها سنتى ١٣٣٢ - ١٣٥٢ هـ ، والباقي مخطوط .
- ٥٤ - مجلات المدينة المنورة ، والسعادة الابدية .

فهرس

٥	المقدمة
٧	الباب الأول
٩	الفصل الأول : مع الإمام في حياته ونشأته
٩	مولده
١٠	نسبه
١١	عصر الإمام
٢٦	حياته ونشأته
٣١	آثاره العلمية
٣٥	الفصل الثاني : التربية عند الإمام
٣٨	مفهوم التربية وضوابطها عند الإمام
٤١	المقدمات والضوابط
٤٢	الأصول التي تقوم عليها
٤٤	الفصل الثالث : وسائل التربية
٤٤	القدوة :
٤٦	معنى الاتباع :
٥١	الباب الثاني : ميادين التربية
٥٣	الفصل الأول : التربية النفسية
٥٦	قوى النفس
٥٨	فضائل النفس وذرائلها
٥٩	أمراض النفس وعلاجها
٦١	التربية والمجاهدة
٦٦	الفصل الثاني : التربية العقلية
٧٢	منزلة العلم

٧٣	العلوم النافعة
٧٦	أنواع العلوم النافعة
٧٨	رأيه في بعض العلوم الأخرى
٨١	تربية المرأة
٨٣	أصول وآثار في التربية
٩٢	الفصل الثالث : التربية الأخلاقية
٩٤	أولا : الأداب في صحبة القدوة (المرشد)
٩٨	ثانيا : الأخوة في الله وادابها
٩٩	الأداب في صحبة الأخوة ومعهم
١٠٨	الفصل الرابع : التربية المروحية
١١٢	منهج الامام في تربية الروح
١١٤	المواجيد القلبية
١٢٠	الفصل الخامس : التربية الإجتماعية
١٢٠	معنى الأخوة
١٢٢	جهاد الامام لتحقيق المجد الإسلامى
١٢٣	جهوده في جمع كلمة الأمة
١٢٦	جهوده في الخلافة الإسلامية
١٢٩	الإصلاح العام في المجتمع الإنساني
١٢٩	رده على دعوى الإشتراكية والعلمانية
١٣١	الحضارة الأوروبية
١٣٥	خاتمة
١٣٦	أهم المراجع
١٣٩	فهرس

منهج التربية

عند الأئمة العظام
السنة ١٤٠٠ هـ

إقصدت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يحفظ النبي ﷺ في أمته بعمرته حتى يبقى خمس الهدى بغير غروب ، وسراجهم المير بتلألأ بغير أهول ، فجاء الإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم في القرن الرابع عشر ليكون مجدد هذا القرن وقد تناول المؤلف حياة الإمام المجدد ونشأته ومولده ونسبه وعصره وأثاره العلمية ، وتناول المؤلف مفهوم التربية عن الإمام المجدد أبي العزائم ومقدماتها وضوابطها والأصول التي تقوم عليها ، ووسائلها ، ومعنى القدوة ومعنى الاتباع . كما يوضح لنا المؤلف مبادئ التربية عند الإمام المجدد أبي العزائم ، وهي :

التربية النفسية : وتشمل قوى النفس وفضائل النفس ورذائلها وامراض النفوس وعلاجها وتربيتها بالمجاهدة .

والتربية العقلية : وتضم منزلة العلم والعلوم السابقة ورأى الإمام المجدد في بعض العلوم الأخرى وتربية المرأة .

والتربية الاخلاقية : وهي نوعين : الاداب في صحبة المرشد واداب الاخوة في الله .

والتربية الروحية : وهي تين منهج الإمام المجدد في تربية الروح والمجاهد القلبية .

والتربية الاجتماعية : وهو يوضح فيها معنى الاخوة عند الإمام المجدد .

كما بين لنا المؤلف جهاد الإمام المجدد أبي العزائم ضد قوى الاستعمار وتصحته للشعوب

الإسلامية ، وجهاده في جمع كلمة أمة القرآن بعودة الخلافة الاسلامية ورده على دعوى

الاشتراكية والعلمانية والحضارة الأوربية .

